نعم المرأة أنت لو كنت...

الدكتور: علاء أحمد لبدة

إهـــــداء

إلى كل فتاة وكل ابنة وكل زوجة وكل امرأة مسلمة تحب الله ورسوله، وتتمنى السعادة في الدنيا والآخرة، وتبحث عنها، ولكنها قد لا تجدها، أو لا تعرف الطريق الصحيح لتحصيلها.

أهديك هذا الكتاب لتسعدي بالعمل بما فيه وليوصلك إلى الراحة والطمأنينة والأمن في الدنيا والآخرة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى. والصلاة والسلام على خير خلق الله جميعا، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اتبع هداهم إلى يوم الدين.

لقد كرم الإسلام المرأة واعتنى بها اعتناءً كبيراً، وأعطاها من الحقوق ما لم تعطعها شريعة أو قانون، واهتم الإسلام بالمرأة وعظم شأنها سواء كانت أُماً أو أُختاً أو ابنة أو زوجة أو عمة أو خالة أو حتى لو يكن لنا بها صلة أو كانت لنا بها صلة وعلى غير ديننا.

واهتمام الإسلام بالمرأة والعناية بشأنها لأنه يدرك أهميتها في بناء المجتمعات وسعادة الأفراد في الحياة وبعد الممات. فلا حياة سعيدة بدون امرأة صالحة، ولا سعادة حقيقية للرجال بدون نساء يحرصن على إسعادهم، ويكوِّنون سوياً بيوتاً سعيدة مطمئنة، تخرِّج أبناء أسوياء صالحين يحققون آمالهم، ويحبون أوطانهم، ويسعون لنهضة أمتهم، في ظل حياة هادئة مليئة بمعرفة كل فرد فيها ما عليه من واجبات للآخرين، فيسعى ليؤديها ليسعد الآخرين، غير آبه بمن أدى منهم واجباته تجاهه أو لم يؤد، لأنه يدرك حقيقة لا لبس فيها أن الجزاء الأوفى من رب العالمين، وأن نعيم الدنيا مهما طال فسينتهي، وأن هناك نعيماً آخر خالداً لا يفنى، إنه جنة عرضها السموات والأرض.

من هنا كان هذا الكتاب الذي خاطبت به كل امرأة مسلمة، ووجهت كلامي إليك أيتها الغالية العزيزة الكريمة، وسميته: **(نعم المرأة أنت لو كنت...)**.

حرصت في كل موضوع منه أن أقول لك أختي العزيزة: نعم المرأة أنت لو كنت متصفة بصفة ما في علاقتك بربك، أو علاقتك بأحد من الناس، أو بعلاقتك بنفسك، وصفاتك الذاتية.

وأؤمن يقيناً أن أخذك بهذه الصفات وإلزام نفسك بها سيشعرك بسعادة بالغة، واطمئنان لا مثيل له، وراحة ما بعدها راحة. إلا ما ستجدينه بعد تطبيقها من نعيم لا ينقطع، وسعادة لا شقاء بعدها في دار الخلد، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في خطابي لك أختي الغالية، وسامحيني إن كنت أخطأت، أو جانبني الصواب في موضع من كلامي، أو أثقلت عليك بالحديث، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أتمنى أن ينفعك الله بما في هذا الكتاب، وأن تسعي جاهدة للعمل، محتسبة الأجر والمثوبة ممن لا يضيع أجر من أحسن عملا.

الدكتور/ علاء أحمد لبدة

alaalebda62@gmail.com

المرأة التي عرفت مهمتها في الحياة

نعم المرأة أنت لو كنت عرفت مهمتك في هذه الحياة، مهمتك التي خلقك الله من أجلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] عرفت أنك ما خلقت للهو واللعب والعبث والانشغال بسفاسف الأمور، وعلمت أن هذا خُلق أناس غيرك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[2] وعلمت أن هذه الحياة الدنيا فانية وأن بعدها داراً باقية فعملت لها، وأردت الآخرة، وآثرتها على الدنيا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3] فسعيت سعياً حثيثاً لنيل رضا ربك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[4] فاجتهدت وبذلت الوقت والجهد لتنالي النعيم المقيم في جنات النعيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ

(١) سورة الذاريات (الآية / ٥٦).
(٢) سورة محمد (الآية / ١٢).
(٣) سورة الأنعام (الآية / ٣٢).
(٤) سورة الإسراء (الآية / ١٨-١٩).

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [(١)] فليكن أختي الفاضلة همك آخرتك، واجعلي همتك في الثريا لا في الثرى، فمن كان همه دنياه جعل الله فقره بين عينيه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له)) [(٢)].

فهل تستوي هذه المرأة الصالحة والمرأة التي آثرت دنياها على أخرها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [(٣)] ؟ لا تستويان . .

هل تستوي هي والمرأة التي جعلت همها اللهو واللعب والتمتع بزينة الحياة الدنيا الفانية، وتتبعت أحدث الموضات وأرقى القصات، وقلدت الرذيلات من الكافرات، وتشبهت بالنصرانيات أو اليهوديات؟ لا تستويان....

فنعم المرأة التي فهمت مهمتها وعملت من أجل رضا خالقها، وسعت لدخول جناته ففازت بسعادة الدارين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ

---

(١) سورة البينة (الآية / ٧–٨).
(٢) الترمذي (٢٣٨٩)
(٣) سورة الأعلى (الآية / ١٦)

وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾[1].

مع العلم أن الإسلام لم يمنع المسلمين والمسلمات أن يرتدوا أجمل الثياب وأن يلهوا اللهو الحلال وأن يأكلوا الأكل الحلال، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس))[2].

فالله يحب الجمال أي التجمل منكم في الهيئة، ولكن ينبغي ألا يكون هذا غاية المرأة في حياتها ولا هدفها الذي تعيش من أجله.

فنعم المرأة أنت لو كنت عرفت مهمتك الحقيقية في هذه الحياة، وسعيت من أجل تحقيقها.

---

(١) سورة آل عمران (الآية / ١٤).

(٢) مسلم (٩١).

المرأة التي فهمت معنى عبادة الله

نعم المرأة أنت لو كنت عرفت أن عبادة الله – وهي الغاية من خلقك – ليست مقصورة على الصلوات والأذكار وقراءة القرآن، وغيرها من العبادات التي بين العبد وربه، ولكنك علمت وفهمت وأيقنت أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال، فعلمت أن حرصك على مذاكرتك إن كنت طالبة عبادة، وإخلاصك في عملك إن كنت امرأة عاملة عبادة، وأن محافظتك على حجابك وعفتك عبادة، وأن طاعة زوجك — إن كنت متزوجة – وإرضاءه فيما لا يغضب ربك عبادة لله، وعلمت أن حسن الخلق عبادة لله، وعلمت أن انشغالك في تربية أولادك — إن كان لديك أولاد – وتنشئتهم التنشئة الصالحة عبادة لا تقل أهميتها وأجرها عن قراءتك جزءاً من القرآن أو صلاتك ركعتين نافلة، بل قد يزيد أهمية وأجراً ومثوبة عن ذلك، وذلك إذا كنت تقصدين بعملك وجه الله .

علمت ذلك فوازنتِ بين أنواع العبادة المختلفة، ولم تغفلي جانباً على حساب الآخر، بل عظمتِ جانب العبادة التي بينك وبين الله من صلاة وذكر واستغفار وقراءة قرآن وصيام وغيرها، وعظمت أيضاً جانب العبادة التي تقومين فيها بمسؤوليتك تجاه نفسك أو أسرتك أو بيتك أو زوجك أو أولادك أو الناس عموماً، ولم تستصغري هذا النوع من العبادات أو تهمليه بحجة انشغالك بنافلة أو حفظ أو حتى أمر دعوي إن كنت ممن تتصدرين للدعوة بين قريناتك، وليس معنى ذلك إغفال أو إهمال جانب التطوع أو الفرائض بحجة أداء المهام البيتية أو الأسرية أو الزوجية، إنما ينبغي أن تكوني

كما قلتُ متوازنة بين الأمرين، فهمت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقال عبد الله: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً))[١] ففهمتِ أن تعطي الحقوق لأصحابها، ولا تُغلِّبي حقاً على آخر فيضيع الحق الآخر. فهل أنت أختي الفاضلة من هذا النوع من النساء المتوازنات المعتدلات؟ أم أنت ممن انشغلن في العبادات الفردية من نوافل وسنن عن أداء حقوق الآخرين – وقد تكون فريضة –، فإذا طلب الآخرون (من أب أو أم أو أخ أو زوج أو...) منك أداء حقوقهم أو لاموك على تقصيرك في ذلك احتججت بانشغالك بالحفظ أو بذهابك إلى دار التحفيظ أو بأي نافلة أخرى؟ أم أنت ممن انشغلن في المذاكرة أو العمل الحياتي أو الإعداد لحفلات أو استضافات الأقارب والمعارف والصديقات لوقت طويل فإذا ذُكِّرتِ بقرب خروج وقت الصلاة أو بعدم قول أذكار الصباح أو المساء تحججت بانشغالك في إكرام الضيوف وحسن استقبالهم، وهو أمر مستحب وقد حث عليه الشرع الحنيف؟

فنعم المرأة أنت إن كنت ممن فهمن المعنى الجامع والشامل للعبادة وعملت جادة مخلصة لخوض كل ميادين العبادة والإدلاء بدلوك في كل نوع منها فكنت متوازنة معتدلة مؤدية حق الله عليك وحقوق العباد ممن لهم عليك حقوق.

---

(١) البخاري رقم (١٨٣٩)

المرأة المداومة على طاعة ربها

نعم المرأة أنت إن كنت مداومة على طاعة ربك، مستمرة في فعل الخير، دائمة على كل عمل مما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى، فكثير من الناس تأخذه الحمية والعاطفة الدينية فيندفع نحو عمل من أعمال الخير أو عبادة من العبادات لكلمة سمعها أو آية تلاها أو حدث أثر فيه، ثم سرعان ما ينتكس، ويترك العمل الذي بدأه، وقد يبدأ في العمل الصالح ثم يضعف ويضعف حتى يتركه، وقد قال صلى الله عليه وسلم ((وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل))[(١)] وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا عمل عملاً أثبته[(٢)].

وانظري أختي الحبيبة في هذا الحديث الرائع عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس قال: حدثني عتبة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسار إليه، قال سمعت أم حبيبة تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُني له بهن بيت في الجنة، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عتبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عتبة، وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس[(٣)].

---

(١) البخاري / ٥٤١٣ .
(٢) النسائي / ٧٥٤ .
(٣) مسلم / ١١٩٨ .

فتأملي أختي قول الرواة جميعاً (ما تركتهن) دوام واستمرار وإصرار على الطاعة والعبادة، وهذه المداومة على الطاعة والعبادة في ذاتها عبادة لله تعالى.

وليكن لك في أم حبيبة رضي الله عنها أسوة حسنة، ولتكوني أم حبيبة زمانك، فقد ورد عنها أيضاً أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من ركع أربع ركعات قبل الظهر وأربعاً بعدها حَرَّم الله عز وجل لحمه على النار)) تقول فما تركتهن منذ سمعتهن[(١)].

فداومي على طاعة ربك، ولا يشغلنك أمر دنياك عن أمر دينك، ولا تكوني من الذين يعملون العمل الصالح فسرعان ما يتركونه كسلاً أو نسياناً أو إهمالاً أو ضعفاً، ولكن عليك بالمداومة والمحاسبة لنفسك إذا قصرت. متبعة في ذلك لسنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث رُوِي عن مسروق رضي الله عنه قال: سألتُ عائشة رضي الله عنها: "أيُّ العمل كان أحبَّ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم؟ قالت: الدائم[(٢)].

فنعم المرأة أنت إن كنت مداومة على طاعة ربك إذا عملت عمل خير أثبتيه ولم تتركيه.

(١) النسائي / ١٧٨٩ .

(٢) البخاري: ١١٣٢.

المرأة المحافظة على صلاتها في وقتها

نعم المرأة أنت إن كنت محافظة على صلاتك في وقتها، وقد علمت أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [١]، وعلمت أن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الذي رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ((إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت)) [٢] فأول ما تستحق به المرأة أن تدخل الجنة المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، وعدم تأخيرها، حتى إن بعض النساء يجمعن بين الصلاتين الأولى في آخر وقتها والثانية في أول وقتها بحجة الانشغال في إعداد الطعام أو القيام بأعباء المنزل الأخرى من غسيل أو تنظيف أو رعاية الأولاد، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: (الصلاة على وقتها) قال ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قال: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) [٣] فالصلاة في وقتها من أفضل الأعمال، بل ذكرت قبل الجهاد في سبيل الله وهو ذروة سنام الإسلام.

وقد تؤخر بعض النساء صلاة الفجر خاصة لعدم قيامها مبكرة، فهي لا تقوم إلا بعد طلوع الشمس أو قريباً من الظهر، فبئس المرأة هذه، والتي حرمت نفسها من

---

(١) النساء / ١٠٣.

(٢) رواه أحمد حديث رقم ١٥٧٣ .

(٣) متفق عليه (شرح السنة للبغوي ١٧٦/٢).

نيل دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اللهم بارك لأمتي في بكورها))[(١)] .

ومن النساء العظيمات من تنتظر الصلاة قبل وقتها، وتجهز نفسها، فتتوضأ، وتصلي ركعتين سنة الوضوء إن كان هناك متسع من الوقت، وتنتظر في مصلاها تسبح وتذكر ربها إلى أن تسمع الأذان فتردده وتقول الدعاء الوارد بعده، ثم تقوم فتصلي سنة الفريضة، ثم الفريضة ثم السنة البعدية إن كان للصلاة سنة بعدية، وتقول أذكار الصلاة، فقرة عينها في صلاتها، تريد أن تستريح بها لا أن تستريح منها كما تفعل الأخريات.

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه: ((حُبِّب إلي من الدنيا النساء والطِّيب وجعل قرة عيني في الصلاة))[(٢)].

وقال صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه: ((يا بلالُ! أَقِمِ الصلاةَ، أَرِحْنا بها))[(٣)] .

فلتكن أختي الفاضلة قرة عينك في الصلاة، ولتؤديها في أول وقتها، وحبذا لو كان عندك بنات فصليتن جماعة معاً فتأخذن أجر صلاة الجماعة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة))[(٤)] .

فنعم المرأة أنت إن كنت ممن يحافظن على الصلاة في وقتها، وتسعين لأدائها جماعة مع من تيسر من أهل بيتك أو جاراتك.

---

(١) سنن ابن ماجه / ٢٢٢٩ .

(٢) رواه أحمد، حديث رقم ١١٨٤٥ .

(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع/ ٧٨٩٢

(٤) رواه البخاري، حديث رقم ٦٠٩ .

المرأة الذَّكَّارة

نعم المرأة أنت إن كنت امرأة ذَّكَّارة، ينطبق عليك قول الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [(١)] . فكنت من اللاتي يذكرن الله على كل أحوالهن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [(٢)] . وكنت ممن يقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روته عنه عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه [(٣)] ، وكنت من المفردين الذين قال عنهم المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: ((سبق المفردون ؟ قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)) [(٤)] بل لقد وصفهم صلى الله عليه وسلم بأنهم أفضل العباد درجة عند الله. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال: ((الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)) [(٥)] .

---

(١) الأحزاب / ٣٥ .
(٢) آل عمران / ١٩١ .
(٣) الترمذي / ٣٣٠٦ .
(٤) رواه مسلم حديث رقم / ٤٨٣٤ .
(٥) رواه الترمذي رقم / ٣٢٩٨ .

ونلاحظ في كل ما ورد من آيات أو أحاديث أن الذكر يوصف فيها دائماً بالكثير، فالذين يستحقون هذه الصفات هم من يذكرون الله ذكراً كثيراً، لا ذكراً قليلاً، أما من يذكرون الله قليلاً فهم المنافقون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

فنعم المرأة أنت إن كنت تمكثين وقتاً طويلاً تذكرين ربك دون أن يكون لذلك أثر على بقية واجباتك كما قلنا من قبل، انظري إلى الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه قال: كان اسم جويرية بنت الحارث برة فحول النبي صلى الله عليه وسلم اسمها فسماها جويرية، فمر بها النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هي في مصلاها تسبح الله وتدعوه، فانطلق لحاجته، ثم رجع إليها بعد ما ارتفع النهار فقال: ((يا جويرية ما زلت في مكانك؟)) قالت: ما زلت في مكاني هذا ....[2]

والشاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بها ثم قضى حاجته وعاد وهي لا زالت مكانها تذكر الله حتى طلعت الشمس، فلتكن لك أختي الحبيبة في جويرية رضي الله عنها قدوة حسنة فتجلسين الساعات تذكرين الخلاق العليم ذا الفضل العظيم بما ورد من أذكار في سنة خير الأبرار النبي المختار صلى الله عليه وسلم، واعملي

(١) النساء / ١٤٢ .
(٢) رواه أحمد حديث رقم / ٣١٣٨ .

بوصيته صلى الله عليه وسلم ((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله))[(١)] ، ولا تكوني من الغافلات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[(٢)] .

ولا تكوني من المنافقات، فمن صفات المنافقين كما ذكرنا أنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، فاختاري لنفسك أيتها الأخت المسلمة اختاري أن تكوني من الذاكرات الله كثيراً أو تكوني من الغافلات أو المنافقات، وادعي الله أن تكوني من الذاكرات بل من الذَّكَّارات، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((رب اجعلني لك شكاراً لك ذكاراً لك رهاباً))[(٣)] .

فنعم المرأة أنت إن كنت امرأة ذكارة تذكرين الله تعالى كثيرا وعلى كل الأحوال وأنت في مطبخك وفي طريقك لعملك إن كنت ممن يعملن أو للسوق أو في السوق وفي كل زمان ومكان.

---

(١) الترمذي / ٣٢٩٧ .
(٢) الأعراف ٢٠٥
(٣) الترمذي / ٣٤٧٤ .

المرأة قارئة القرآن، الحريصة على حفظه

نعم المرأة أنت إن كنت قارئة القرآن، تحرصين على تلاوته فتكونين من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[1] ومن الذين استجابوا لأمر الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[2] .

ونعم المرأة أنت إن كنت ممن تَعَلَّمْن القرآن، ولا تزالين تتعلمين وتحرصين على تعلمه وتعليمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[3] علمتِ أيتها المرأة الصالحة أن كل حرف من حروف القرآن الكريم له أجر عظيم، قال صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف))[4] فحرصتِ كل الحرص على تلاوة القرآن وترتيله على الوجه الذي يرضاه ربنا جل وعلا، وحرصتِ على تعلم أحكام تلاوته، وأحكام العمل به، وبذلت الجهد الجهيد في ذلك، ولكن كما قلنا ليس على حساب الحقوق الأخرى.

---

(١) فاطر / ٢٩ .

(٢) المزمل / ٤ .

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم ٤٦٣٩ .

(٤) رواه الترمذي رقم / ٢٨٣٥ .

وبئس المرأة التي هجرت كتاب الله تعالى، هجرت تلاوته، وهجرت العمل به وهجرت تعلمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[(١)] فلا تعرف لكتاب الله طريقاً، ولا تتخذ له سبيلاً، وقد لا تعرفه إلا في رمضان، ولا تحفظ منه إلا القليل.

وبئست المرأة التي بلغت من العمر عتياً، بل ونالت من التعليم أعلاه وهي ما زالت لا تجيد قراءة كتاب الله عز وجل، ولا تحاول تعلم قراءته، وما قيمة الشهادات التي حصلتْ عليها أو نالتها وهي لا تستطيع أن تتلو كتاب ربها بالحد الأدنى من القراءة التي لا لحن فيها.

ونعم المرأة المسلمة التي تحرص على حفظ ما استطاعت من القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(٢)].

فلتحرصي أختي العزيزة أن تكوني من أهل القرآن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لله أهلين من الناس، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته))[(٣)].

(١) الفرقان / ٣٠ .

(٢) العنكبوت /٤٩

(٣) ابن ماجه حديث رقم ٢١١ .

واعلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحض الصحابة والصحابيات على تعاهد كتاب الله عز وجل بالحفظ، والمواظبة على ذلك حتى يأمنوا عدم نسيانه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت) [١] .

ويروى من تعاهد الصحابة كتاب الله عز وجل وتفانيهم في الاعتناء به أحاديث كثيرة، وقد حفظه رجالهم ونساؤهم، من شق عليه منهم ذلك ومن سهل، لأن المشقة في حفظه تؤدي إلى نيل المزيد من الأجر والثواب، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران)) [٢] .

كوني أختي الفاضلة كأمهات المؤمنين، فقد حفظت القرآن كاملا عائشة وحفصة وأم سلمة رضي الله عنهن، وكانت حفصة رضي الله عنها تعرف الكتابة، وهو ما دعا إلى ائتمانها على الصحف التي كُتِبَ فيها القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم ٥٠٣١ .

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم ٤٧٣٧ .

وكانت عناية الصحابيات بحفظ كتاب الله عز وجل كبيرة، منهن من حفظته كله ومنهن من حفظت بعضه، وكانت أم ورقة رضوان الله عليها تحفظ القرآن كله، وكذلك أم الدرداء الكبرى، وأمها خيرة بنت أبي حدرد رضي الله عنهن.

روي أن زبيدة بنت جعفر المنصور العباسي رحمها الله كانت شديدة العناية بالقرآن الكريم، وكانت لها مائة جارية يحفظن القرآن الكريم، ولكل واحدة وردٌ عُشْرُ القرآن، وكان يُسْمَع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن.

ويروى عن حفصة بنت سيرين رحمها الله أنها كانت تقرأ القرآن وهي في سن الثانية عشرة، وماتت وهي في سن التسعين من عمرها، فكان ابن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: "اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ".

فكوني مثل هؤلاء، ولا تيأسي ولا تملي ولا تقولي كبرت أو لا أستطيع أو الأمر صعب أو مستحيل، فكوني ذات همة عالية في تعلم كتاب الله وتلاوته وترتيله تنالي الخير في الدارين.

فنعم المرأة أنت إن كنت من أهل القرآن أهل الله وخاصته تتعلمين وتُعَلِّمين إلى أن تلقي الله قارئة، فتكون منزلتك عند آخر آية تقرئينها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقالُ لصاحبِ القرآنِ: اقرأْ وارقَ ورتِّلْ كما كنتَ ترتلُ في الدنيا، فإنَّ منزلتَك عندَ آخرِ آيةٍ تقرأُ بها) [(١)].

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح

المرأة المتصدقة

نعم المرأة أنت إن كنت امرأة متصدقة، بل مكثرة من الصدقات لتنالي رضا رب الأرض والسماوات وتنالي محبته سبحانه وتعالى وقد قال في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾[(١)]

والصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء، سواء كان المتصدق رجلاً أم امرأة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الصَّدقةُ تُطفئُ غضَبَ الرَّبِّ وتدفَعُ مِيتةَ السُّوءِ))[(٢)].

ولكن المرأة أُمِرَت بالصدقة خاصة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد، ثم أتى النساء فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تصدق بخرصها وسخابها.[(٣)] [(٤)]

وقد وردت روايات كثيرة في سرعة استجابة النساء لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق فقد سارعن بخلع حليهن، وبادرن بنيل الأجر والمثوبة وحرصن على التكفير عن السيئات ونيل الحسنات.

---

(١) يوسف / ٨٨ .

(٢) صحيح ابن حبان

(٣) خرصها : الخِرْص : الحلقة من الذهب أو الفضة أو القرط بحبة واحدة المعجم الوسيط : (ج١ / ص ٢٢٧)، سخابها : السِّخاب القلادة تتخذ من قَرنفل وسُك ومَحْلَب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء . المعجم الوسيط: (ج١ / ص ٤٢١)

(٤) البخاري ٥٨٨١

فاعلمي أختي المسلمة أن المال زائل لا محالة، وأنه لن ينفعك منه إلا ما قدمت لنفسك عند ربك من صدقة، ولن تنقص الصدقة مالك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما نقصت صدقة من مال))[(١)] .

واعلمي أختي الفاضلة أن الصدقة على الأقارب صدقة وصلة رحم، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((الصدقة على الفقير صدقة، وعلى ذي القرابة اثنتان؛ صدقة وصلة))[(٢)] .

فأكثري من الصدقة أختي الفاضلة، وليكن ذلك معروفاً عنك، ولتشتهري به، ولتعرفي بجودك وكرمك وإحسانك، وكثرة التصدق، قالت عائشة رضي الله عنها (ولم أر امرأة خيراً منها وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل من زينب)[(٣)].

انظري إلى شهادة عائشة لإحدى ضرائرها أنها أكثر صدقة، وقالت في حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً)). قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.[(٤)]

---

(١) صحيح مسلم ٢٥٨٨

(٢) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني

(٣) أحمد / ٢٤٠١٩ .

(٤) مسلم / ٤٤٩٠ .

وفي رواية: قالت عائشة: فكانت سودة أسرعهن به لحوقاً فكانت أطولهن يداً فكان ذلك من كثرة الصدقة.(١)

فانظري كيف وصفت المرأة بكثرة الصدقة وأنها كانت أطول نساء النبي صلى الله عليه وسلم يداً سواء كانت زينب أم سودة، فلتقتدي إن شئت بنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولتكثري من الصدقة ما استطعت، ولو بالقليل، واتقوا الله ولو بشق تمرة، واعلمي أن مالك وما معك لن ينقص أبداً بل يزيد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٢) .

وأكثري من صدقة السر خاصة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صدقةُ السرِّ تطفِئُ غضب الربِّ))(٤).

فنعم المرأة أنت إن كنت امرأة متصدقة، منفقة في وجوه الخير، تبتغين وجه الله والدار الآخرة.

---

(١) النسائي / ٢٤٩٤ .
(٢) سبأ ٣٩
(٣) البقرة ٢٧١
(٤) صححه السيوطي في الجامع الصغير

المرأة الصَّوَّامة

نعم المرأة أنت إن كنت امرأة صَوَّامة، فالصوم من أَجَلِّ وأعظم العبادات لله تعالى، والصوم جُنَّة والصوم يعلم الصبر، ويحدث التقوى في نفوس الصائمين، والصوم صحة للبدن، وَوِجَاء من الذنوب والمعاصي، فنعم المرأة التي تتقرب إلى ربها بالصوم في غير رمضان، ولتبدأ بعد رمضان بقضاء ما عليها إن كانت أفطرت فيه، ولتسرع في ذلك، ولا تؤخره كما تؤخره بعض النساء إلى ما قبل رمضان الآخر، ولتسارع الأخت المسلمة لصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان، وبعد قضاء ما عليها، فكأنها صامت الدهر كله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِن شَوَّالٍ، كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ))(١).

ونعم المرأة التي تكثر من الصيام في الأيام التي أُثِر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها كالاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، وصيام عاشوراء والتاسع من ذي الحجة وغيرها من الأيام والشهور.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهراً أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله(٢).

ولكن أختي الفاضلة احذري أن تصومي نافلة وزوجك حاضر إلا بإذنه، فإن لم يأذن لك فلا تصومي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تصوم المرأة إذا كان زوجها شاهداً إلا بإذنه))(٣).

---

(١) البخاري / ١٨٣٤ .

(٢) مسلم / ١١٦٤ .

(٣) أحمد / ١٠٠٩٠ .

واحذري من المبالغة في الصيام فيصيبك الملل والسآمة، فقد قال صلى الله عليه وسلم ((خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا)).(١) ولتراوحي بين الصيام والإفطار، ولتوازني بين هذا العمل الصالح (الصيام) وبين غيره من الأعمال الصالحة الأخرى من حقوق الزوج والأولاد وحقوق الوالدين، ودراستك إن كنت طالبة، وعملك إن كنت موظفة، وأداء مهامك الأخرى في بيتك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل، فقلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله)) فشددت فشدد علي، قلت: يا رسول الله: إني أجد قوة، قال: ((فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه)) قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام، قال: ((نصف الدهر)). فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم.(٢)

ولا تكوني أختي الفاضلة من النساء اللاتي لا يعرفن الصيام إلا في رمضان، ولا يقضين ما فاتهن فيه إلا بثقل وتأخر حتى ليدرك إحداهن رمضان الآخر ولم تقض ما عليها، فبئس المرأة إن لم يكن عندها عذر في ذلك، فبادري إلى مرضاة رب كريم

---

(١) البخاري / ١٨٣٤ .

(٢) البخاري / ١٩٧٥

شكور، وحافظي على صحتك وسلامة بدنك بصومك لله عز وجل، حتى تدخلي الجنة من باب الريان الذي لا يدخل منه إلا الصائمون.

فنعم المرأة أنت إن كنت امرأة صوامة، حريصة على هذه العبادة، متوازنة بينها وبين غيرها من العبادات.

المرأة الحريصة على أداء النوافل

نعم المرأة أنت إن كنت حريصة على أداء النوافل، ساعية إلى نيل حب ربك لك، فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: ((وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه))[(١)] فتحرصين كل الحرص على أداء النوافل قبل الصلوات وبعدها، مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عمر رضي الله عنهما: كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يدع: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الصبح[(٢)] فانظري إلى قوله (لا يدع) أي لا يتركها فهو مداوم عليها.

فنعمت المرأة الحريصة على الصلاة تطوعاً في كل وقت وحين، فعن حميد قال: سئل أنس عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل فقال: ما كنا نشاء أن نراه مصلياً إلا رأيناه ولا نائماً إلا رأيناه[(٣)].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي حتى تورّم قدماه فقيل له: فقال: ((أولا أكون عبداً شكوراً))[(٤)].

(١) البخاري رقم / ٦٠٢١ .
(٢) رواه أحمد رقم ٤٨٨١ .
(٣) رواه أحمد رقم ١١٦٨٦ .
(٤) رواه أحمد رقم ١٧٥٢٨ .

فلتداومي أختي الفاضلة على النوافل الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم لتنالي محبة الله لك، ولتكثري من التطوع المطلق في غير أوقات النهي لتتقربي إلى مولاك جل وعلا.

وإن من أعظم النوافل وأحبها إلى الله عز وجل قيام الليل، فقد أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين فضله في قوله: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد))[١] وقال صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل))[٢] بل قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: "لا تدع قيام الليل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً"[٣].

فاحرصي أختي المسلمة على أن تقيمي الليل سواء كان بالاستيقاظ قبل الفجر أو بأدائه قبل النوم، والأفضل أن تقومي فتوقظي زوجك فتصليان معاً، فنعم المرأة الحريصة على ذلك، الأوابة المنيبة المعينة زوجها على نافلة هي من أعظم النوافل، ترجو رحمة ربها وتتبتل خاشعة في محرابها، تستحق دعوة رسولها لها بالرحمة من الرحيم الرحمن، قال صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته

(١) الترمذي / ٣٤٧٢ .
(٢) النسائي / ١٥٩٦ .
(٣) أبو داود / ١١١٢ .

فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء))[(١)].

ويصح القيام قبل النوم ومن بعد صلاة العشاء، وإن كان الأفضل القيام قبل الفجر، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "الدائم"، قيل لها: ومتى كان يقوم؟ قالت: "كان يقوم إذا سمع الصارخ"[(٢)]، والصارخ يطلق على الديك.

فاحرصي أن يكون لك نصيبك من النوافل عموماً ومن قيام الليل خاصة، ولا تتركيه فقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((يا عبد الله لا تكن بمثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل))[(٣)]، فقومي فتهجدي واقرئي واذكري وادعي الكريم المنان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[(٤)] وإذا غلبك النوم فلم تستطيعي قيام الليل لا قبل النوم ولا قبل الفجر فاقضيه إذا أصبحت، وحافظي على هذا القضاء حتى تطردي الشيطان فلا يغريك بتركه، وقد ورد قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل إذا أصبح، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا

(١) النسائي / ١٥٩٢ .
(٢) البخاري / ١٠٦٤ .
(٣) مسلم / ١٩٦٥ .
(٤) الإسراء (الآية / ٧٩)

صلى صلاة أحب أن يدوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو مرض أو وجع صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة[(١)].

واسمعي لحديث أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة، إلا بنى الله له بيتا في الجنة)) [(٢)].

ألا تحبين أن يبني الله لك بيتا في الجنة؟

واحرصي على جبر كسور الفرائض بالمحافظة على النوافل والسنن والرواتب والتطوع المطلق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته؛ فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر. فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك))[(٣)].

فنعم المرأة أنت إن كنت محافظة على النوافل وعلى صلاة التطوع وعلى قيام الليل، توقظين زوجك وأهل بيتك فتجتمعون في جوف الليل، تركعون وتسجدون وتجأرون لرب كريم يجيب الداعي إذا دعاه ويتوب على التائب ويعطي العطاء الجزيل.

---

(١) النسائي / ١٥٨٣ .

(٢) صحيح مسلم

(٣) رواه الترمذي، وصححه الألباني.

المرأة الصابرة

نعم المرأة أنت إن كنت امرأة صابرة على ما أصابك الله به من ضيق عيش أو بلاء في نفسك أو مالك أو والديك أو زوجك أو ولدك، عرفت معنى الصبر وأجره قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١) وعلمت أن الصبر كله خير، فإذا أصابك ضراء في بدنك أو في ولدك أو في زوجك أو في حياتك صبرت واحتسبت ولجأت إلى الله ترجين رحمته، وتطلبين عفوه، وتتمنين رضاه.

واعلمي أختي أن الصبر على البأساء والضراء واللأواء أفضل من الشفاء والمعافاة من البلاء، وأرجى لرضا رب الأرض والسماء، ولتكن المرأة التي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن لتقول له: يا رسول الله ادع الله عز وجل أن يشفيني، قال: ((إن شئت دعوت الله لك فشفاك، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك))، قالت: بل أصبر ولا حساب عليَّ (٢).

لتكن هذه المرأة أسوة لك فاصبري ولا حساب عليك، وقولي إذا أصابتك مصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (٣) ليكون جزاؤك صلوات من ربك ورحمة ولتكوني من المهتدين.

---

(١) سورة الزمر (الآية / ١٠)

(٢) رواه البخاري

(٣) سورة البقرة (الآية / ١٥٦)

وليكن لك في سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم قدوة حسنة في الصبر، فقد كانت سابعة سبعة في الإسلام، وكان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة، والتهبت الرمضاء، خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة، وأخذوا يرضخونهم بالحجارة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رَمْضاء مكة فيقول: ((صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة))(١) حتى تفادى الرجلان ذلك العذاب المر بظاهرة من الكفر أجرياها على لسانهما، وقلباهما مطمئنان بالإيمان، وقد عذر الله أمثالهما بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ....﴾(٢) فأما المرأة فاعتصمت بالصبر، وقرت على العذاب، وأبت أن تعطي القوم ما سألوا من الكفر بعد الإيمان، فذهبوا بروحها، وأفظعوا قِتلتها، فقد أنفذ أبو جهل حربته فيها، فماتت رضي الله عنها، وكانت أول شهيدة في الإسلام.

وتأملي في أم سَلَمة رضي الله عنها عندما أرادت أن تهاجر مع المهاجرين هي وزوجها فرارا من أذى الكافرين، فمنعها أهلها من السفر برفقة زوجها، وعندما علم أهل زوجها بذلك رفضوا أن تأخذ وليدها معها، فأخذوا منها ولدها، وقالوا: "نحن أولى برعايته"، ففي ساعة واحدة تفتت الشمل، فأصبحت في مكان، وولدها الصغير في مكان آخر، وزوجها مهاجر عنهما، وصارت ما يقرب من عام على هذا الحال، تأتي في نفس المكان الذي شهد هذه الواقعة تدعو ربها وتبكي وتتبتل إليه، حتى تقبل

---

(١) رواه جابر بن عبد الله، ونقله الألباني في فقه السيرة وقال: حسن صحيح

(٢) سورة النحل (الآية / ١٠٦)

الله تعالى دعاءها، وجمع شملها هي وزوجها وولدها، وبعدها توفى عنها زوجها، فقالت: "اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها"(١)، فتزوجها بعد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وكان خير خلف لها جزاء لصبرها واحتسابها.

وانظري إلى السميراء بنت قيس رضي الله عنها -إحدى نساء بني دينار-وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحُدٍ؛ فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: خيرًا يا أمَّ النعمان هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتّى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل(٢).

وتأملي في صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، زوجة العوام وابنها الزبير بن العوام، عندما وجدت أخاها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في غزوة أحد قد قُتِل ومُثّل به ظلت تقول: "إن ذلك لله، لقد رضيت بقضاء الله، والله لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله"(٣)

وتأملي في سيرة أم عمارة (نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف)، حينما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابنها حبيبا إلى مسيلمة الكذاب فغدر به وقتله أشد

(١) رواه الترمذي
(٢) البداية والنهاية ٤/٤٨
(٣) السيرة النبوية لابن هشام

قِتْلة، فلما سمعت نعي الناعي لولدها حبيب فقالت المرأة الصابرة الصامدة: "من أجل مثل هذا الموقف أعددته وعند الله احتسبته" (١).

وتأملي في موقف الخنساء عندما أخذ المسلمون يحشدون جندهم، ويعدون عدتهم زحفا لمعركة القادسية، كانت الخنساء مع أبنائها الأربعة، تزحف مع الزاحفين للقاء الفرس! وفي خيمةٍ من آلاف الخيام، جمعت الخنساء أولادها الأربعة، لتُلقي إليهم بوصيتها فقالت: "يا بني، أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم!، وتعلمون ما أعده الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية يقول تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (٢) فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلي عدوكم متبصرين بالله على أعدائه منتصرين".

فلما أشرق الصبح واصطفت الكتائب وتلاقى الفريقان، أخذت تتلقى أخبار بنيها وأخبار المجاهدين، وجاءها النبأ بالاستشهاد، فقالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مُستقرِ رحمته" (٣).

وانظري إلى النماذج الفذة من نساء فلسطين في العصر الحديث كيف تصاب باستشهاد ابنها أو زوجها أو أخيها، وقد يكون أكثر من شخص في نفس الوقت

(١) صور من حياة الصحابيات

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٣) خزانة الأدب للبغدادي ج١ ص٣٩٥

فما تقول إلا خيرا ولا تتلفظ إلا بما يرضي الله عز وجل، بل إن بعضهن تقول لمن جاء معزيا: لا تعزوني، إن جئتم مهنئين لي على استشهاد ابني أو زوجي أو أخي فأهلا بكم.

فنعم المرأة أنت إن كنت صابرة محتسبة الأجر والمثوبة عند الله في جنة عرضها السموات والأرض.

المرأة الشاكرة الراضية

نعم المرأة أنت إن كنت شاكرة راضية بما قسم الله لك من حياة، وما قدر لك من رزق أو زوج أو ما رزقت به من أولاد أم لم ترزقي، أو تزوجت أم لم تتزوجي، فقيرة كنت أم غنية، صحيحة أنت أم سقيمة، متعلمة أم لم تكملي تعليمك، فهذا هو حال المؤمن الذي أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، إنْ أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له))[(١)] .

وقد يصيب أباك أو زوجك ضائقةٌ مالية، أو يمر أحدهم بظروف صعبة يضيق فيها عيشه وتتكدر فيها حياته، فنعم المرأة التي تشارك أباها أو زوجها حياته بِحُلْوِها ومُرِّها، وضيقها وسعتها، ورخائها وشدتها، فتصبر وتشد الحزام، بل وتُظْهر الرضى والتسليم لرب العالمين، وتُصَبِّر أباها أو زوجها، وتُذَكِّره بأيام خلت مَنَّ الله عليهم فيها، وتبشره بقرب انفراج الأزمة، والثقة في تيسير الله ورفقه بهم، وتتذكر هذه المرأة الصالحة أنها ليست بخير من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أخبرنا أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مراراً: ((والذي نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع حب ولا صاع تمر)) وإن له يومئذ تسع نسوة[(٢)] .

(١) رواه مسلم

(٢) ابن ماجه / ٤١٣٧ .

فنعم المرأة الراضية بما قسم الله لها، العاملة بوصية رسولها صلى الله عليه وسلم: ((ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس))(١)، لا تنظر إلى الأخريات ممن فضلهن الله عليها بمال أو جاه أو أب أو زوج أفضل أو عيشة أهنأ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه))(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم))(٣). فنظرت إلى من هو أقل منها مالا وإلى من هو أقل من أبيها أو زوجها مكانة ومهنة، وإلى من هو أضيق عيشا منها، فحمدت الله وشكرته على نعمه عليها، وعلمت هذه المرأة الصالحة أنه لو امتلكت الدنيا بحذافيرها ولم تكن راضية شاكرة فلا قيمة لما ملكت، ولو ملكت أقل الأشياء ثم رضيت وشكرت لكان خيرا لها، قال صلى الله عليه وسلم: ((ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس))(٤). وعلمت هذه المرأة أنه قد يكون عند الإنسان من النعم ما لا يدرك قيمته، وإن نُزِعَت منه لَعَلِم أنه كان يمتلك الكثير، فقد لا تملك المال ولكن ملكت زمام الصحة والعافية، وقد لا تملك الوظيفة الثابتة ذات الراتب المجزي لزوجها ولكنها قد ملكت الأمن من مكره، والسكينة في كنفه، وحسن خلقه، وحسن تعامله، فعلمت

---

(١) الترمذي / ٢٢٢٧ .
(٢) البخاري / ٦٠٠٩ .
(٣) مسلم / ٥٢٦٤ .
(٤) ابن ماجه / ٤١٢٧ .

أنها تملك الكثير فرضيت وشكرت، قال صلى الله عليه وسلم: ((من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا))[1] . أليس عندك أخيتي قوت يومك، أم يعج بيتك بالخيرات المختلفات ونعم الله السابغات، وتمتلئ الثلاجات بالأطعمة والمشروبات، ثم أنت تنكرين نعمة الله عليك، فيكون هذا من الشقاوة التي يصاب بها بعض الناس. قال صلى الله عليه وسلم: ((من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له))[2] . فالفَلَاح والسعادة والسكينة والهدوء والاستقرار في القناعة بالرزق، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، والحمد في السراء والضراء، قال صلى الله عليه وسلم: ((قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه))[3] .

ونعم المرأة الشاكرة ربها على نعمه وهي لا تعد ولا تحصى لأن الشكر يزيد النعم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[4] ، وحمدت الله على الولد المعافى والأب الحاني والأم العطوفة والأخ الوصول والزوج المهذب والابن البار والبنت العفيفة الشريفة، وحمدت الله على اللقمة والنومة الهادئة والفراش البسيط والماء البارد والبيت المغلق عليها وعلى أسرتها أو عليها وعلى زوجها وأولادها، وحمدت الله على الحياة في الحلال، وغيرها من النعم التي نظنها قليلة أو بسيطة، عن

(١) ابن ماجه / ٤١٣١ .
(٢) الترمذي / ٢٠٧٧ .
(٣) أحمد / ٦٢٨٤ .
(٤) إبراهيم / ٧ .

أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فأكل فلما فرغ قال: ((الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا))[(١)] .

وأنت أيتها المرأة تأكلين الطعام الساخن أشكالاً وألواناً صباحاً ومساءً ولا تحمدين الله ولا تشكرينه، ولا تشكرين لأبيك أو لزوجك الذي جعله الله سببا في ذلك، فاتقي الله ليحفظ عليك نعمه ويزيدها.

(١) ابن ماجه / ٤١٤٠ .

المرأة الكريمة الجوادة

نعم المرأة أنت إن كنت كريمة جوادة، تجودين بما عندك وما معك، تكرمين ضيوفك، وتحسنين إلى جاراتك بما تملكين، وتعطين ولا تمنعين، يدك عليا لا سفلى، انظري إلى وصف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما حين قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء، وجُودُهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد[(١)].

ولك في رسول الله أسوة حسنة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم معروفا بإكرام الضيف حتى قبل البعثة، فحين رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خديجة من غار حراء فَزِعًا من لقائه جبريل عليه السلام قال لخديجة رضي الله عنها: ((أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي)) فأخبرها الخبر، قالت خديجة: "كلا، أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق "[(٢)].

وإن إكرام الضيف وإطعام الطعام لَسَبب من أسباب دخول الجنة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام))[(٣)].

---

(١) البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

(٢) البخاري: ٤٩٥٣.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

والله جعل إطعام الطعام وإكرام الضيف من جملة الأسباب التي يتحصل بها العبد على نعيم خاص من نعيم الجنة، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها، فقال أعرابي: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى لله بالليل والناس نيام))(١).

وكما تقول العامة الجود بالموجود، فينبغي ألا يتكلف المضيف لضيفه ما ليس عنده، فعن سلمان رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فدعا له بما كان عنده، فقال: "لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا، أو لولا أنا نُهِينا، أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك"(٢).

وليس الكرم والجود فقط بالطعام والشراب، إنما تتعدد مظاهر إكرام الضيف، وأولها الترحيب به وملاقاته بوجهٍ طلقٍ بشوش، وإجلاسه في أفضل مكانٍ في البيت، واستقباله بحفاوة، وأن يتكلّم معه الْمُضيف بحديثٍ يُدخل السرور إلى قلبه، ويُريح خاطره، ويُبعد عنه الهم والحزن، ويجب على الْمُضيف أن يُعجّل في تقديم الضيافة لضيفه، وألا يتوانى في تقديم الضيافة المتوفرة له، بحيث يُقدّم له أحسن ما عنده، وألا يرفع الْمُضيف يده من الطعام قبل أن ينتهي الضيف من طعامه، ومما يزيد من إكرام الضيف أن يخدم صاحب البيت ضيفه بنفسه.

---

(١) رواه أحمد، وحسنه الأرناؤوط.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في إرواء العليل

فنعم المرأة أنت إن كنت كريمة جوادة، فالكرم والجود مَكْرُمَة من مكارم الأخلاق، وخصلة من خِصال الخير، وخُلق أكيد من أخلاق الإسلام، وعلامة من علامات الإيمان، يَدلُّ على سماحةٍ في النَّفس، وكرم في الطبع، وإيثار للغير، وشهامة ومروءة، وإيمان بما عند الله تعالى من العِوض والفضل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)) (١).

(١) البخاري / ٦١٣٥ .

المرأة الرفيقة

نعم المرأة أنت إن كنت رفيقة بحال أبيك أو زوجك إن كنت متزوجة، تعرفين حاله، وقوته وضعفه، وغناه وفقره، وشدته ولينه، وموضع غضبه ورضاه، فترفقين بحاله، ولا تتعنتين معه فتغضبينه ولا تطالبينه بما لا يقدر عليه، ولا تصرين على ما لا يستطيعه، ولا تتمنين ما ليس بمقدوره، ولا تطلبين حقك إن كان فيه مشقة عليه، وتلتمسين له العذر في تأخر ما تريدين رفقا منك به، نظرتِ إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمتِ منها الرفق، قرأتِ قصةَ خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها التي سمع الله قولها وهي تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها بعدما ظَاهَرَها زوجها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مُرِيهِ فليعتق رقبة))، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: ((فليصم شهرين متتابعين))، فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: ((فليطعم ستين مسكينا وَسَقًا[(١)] من تمر)). قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فإنا سنعينه بعرق من تمر))[(٢)]. قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر. قال: ((قد أصبت وأحسنت))[(٣)]، نعم قد أصابت خولة وأحسنت إذ أظهرت رفقها بزوجها وشفقتها عليه وعلمها بحاله، بل وساعدته وأعانته ولم تقل هذا

(١) الوسق: مِكْيال مِقْداره ستون صاعاً بصاع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وتساوي خمسة أوسق في زماننا ٦٥٢ كيلو جرام.
(٢) عرق من تمر: والعرق: هو ما يسمونه المكتل، واختلفوا في مساحة هذا المكتل، وبعضهم يذكر أنه يسع وسقاً والوسق ستون صاعاً، لكل مسكين صاع.
(٣) أحمد / ٢٦٠٥٦

حكم الله فلينفذه جزاء له، وليفعل ما يفعل نكالا لما قدم، إنها المرأة الرفيقة بحال من تعيش معه من أب أو أم أو زوج أو أولاد. ولتعلمي أيتها المرأة الرفيقة أن لك من الأجر العظيم ما لا يعلمه إلا الله، اسمعي ما قاله رسولك الكريم صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: ((يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه))[١].

وبئس المرأة التي لا ترفق بحال من تعيش معه من أب أو أم أو زوج ولا ترحم حاله، ولا تراعي ما به، تريد حقوقها كاملة مكملة وإن لم يكن عنده ما يوفي به حقوقها، وتتمنى ما لا يقدر عليه مَنْ ينفق عليها، وتتعنت فيما توده منه غير آبهة بما قد يسبب له ما توده وتريده، عنيفة في طلباتها، غير مشفقة على الآخرين، اقرئي أختي الفاضلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه ستر الله عليه كنفه وأدخله جنته: رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين وإحسان إلى المملوك))[٢]، فارحمي ضعف من يرعاك أو تعيشين معه، وارفقي به تدخلي جنة ربك ويسترك الله في الدنيا والآخرة. وإن لم ترحمي ضعفه لم يرحم الله ضعفك ولم يرفق بك ربك. قال صلى الله عليه وسلم: ((من لا يرحم لا يرحم))[٣].

فنعم المرأة أنت إن كنت امرأة رفيقة.

---

(١) مسلم / ٤٦٩٧ .
(٢) الترمذي / ٢٤١٨ .
(٣) البخاري / ٥٥٥٤ .

المرأة الحكيمة

نعم المرأة أنت لو كنت حكيمة في تصرفاتك مع الآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

واستمعي أختي الفاضلة لقصة أم سليم رضي الله عنها مع زوجها، يروى أنه كان لأبي طلحة رضي الله عنه ابن يشتكي، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت زوجته أم سليم: هو أسكن مما كان. فَقَرَّبَتْ إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي ....[2]، وفي رواية أخرى أنها قالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال فجاء فقربت له عشاء، فأكل وشرب، وقال[3]، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم أَلَهُمْ أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك.

والحِكْمَة تعني الإصابة في القول والسَّداد في العمل، وحسن التصرف والهدوء والتعقل، والحكمة أن تعطي كل شيء حقَّه، ولا تعدِّيه حدَّه، ولا تعجليه عن وقته، ولا تؤخريه عنه.

---

(١) سورة البقرة: (الآية / ٢٦٩)
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣) قال: من القيلولة.

وليست الحكمة كما تفعل كثير من النساء الحمقاوات اللاتي يولولن ويهجن لأتفه الأسباب، فيخربن بيوتهن بأيديهن في ساعة غضب أو موقف حزن أو ضائقة مالية تتصرف خلالها بتهور وحمق، وتبتعد عن الحكمة وحسن التصرف.

آلمني أشد الألم أن سمعت يوماً ينادى على إحدى النساء أنها قد ماتت، وكانت من قرية مجاورة لقرية زوجها، ونودي أن الجنازة ودفن الجثة في قريتها، وليس في قرية زوجها التي عاشت فيها ما يقرب من خمسة وأربعين عاماً، وينتمي إلى هذه القرية زوجها وأبناؤها، ولما سَأَلْتُ عن سبب ذلك قيل إنها أوصت بألا تدفن في قبور عائلة زوجها، وستدفن ويصلى عليها في قريتها، فتعجبت من ذلك، وشعرت بالأسى والحزن لهذا الموقف الذي ينم عن علاقة غير سوية بين زوجة وزوجها، ويدل على عدم الانتماء والحب بين الزوجة التي ماتت وزوجها، وقد أصرت على أن يبقى هذا الوضع حتى بعد موتها، أي عقلٍ هذا الذي يحكم هذه المرأة التي تريد أن تُظْهِر خلافَها مع زوجها حتى بعد موتها، وتُصِرُّ على أن تُظْهر زوجها وأهله في مظهر سيئ، حيث يخرج الزوج وأبناؤه وأهل قريته وأقاربه إلى مكان آخر يستشعرون أن الناس ينظرون إليهم نظرة سيئة، أن أغضبتم ابنة قريتنا، وأسأتم معاملتها حتى أبت أن تُدفن في مقابركم، تأملي هذا الموقف أختي الفاضلة.

فهل هذه امرأة حكيمة؟ كلا والله. أسأل الله أن يغفر لها ويرحمها، وأن يعفو عنها.

وقارني هذا الموقف بموقف فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما أوصت أسماء بنت عميس رضي الله عنها إذا هي ماتت أن تغسلها أسماء هي وعليٌّ زوجها، ولا تُدْخل عليها أحدا، لم تقل لا تُدْخلي عليَّ زوجي، أو لا أدفن في مقابر زوجي، إنما أصرت على أن يحضر زوجها غسلها وتكفينها ولا أحد غيره.

فنعم المرأة أنت لو كنت امرأة حكيمة.

المرأة الميسرة

نعم المرأة أنت إن كنت ميسرة، وبئست المرأة أنت إن كنت معسرة، نعم المرأة التي سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا))[(١)] فاستجابت لذلك، فهي تسعى في كل حياتها للتيسير لا التعسير، تيسر على أبيها وأمها وإخوانها وزوجها وأولادها حياتهم وأمور معاشهم، لا تسعى لتعقيد الأمور والتشدد فيها، فهي امرأة بسيطة، لا تتشدد في طلباتها ولا احتياجاتها، ولا تكثر التشرط على الآخرين ممن تخالطهم وتتعامل معهم، ولا تكثر التعسف ولا التعنت في أمورها، أو التعنت مع زوجها أو أولادها أو جيرانها أو أقاربها، إنما هي امرأة سلسة سهلة لينة هينة، قال صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار، وبمن تحرم عليه النار ؟ على كل قريب هين سهل))[(٢)] .

واعلمي أختي الفاضلة أن اليُسْر والتيسير سنة نبوية، ومقصد من مقاصد الإسلام، وسمة من سماته، وقد جاء الإسلام باليسر والتيسير، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(٣)] .

وقد وصف الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٤)]، قال ابن كثير: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أي:

---

(١) متفق عليه

(٢) رواه الترمذي

(٣) البقرة:١٨٥

(٤) التوبة:١٢٨

يعز عليه الشيء الذي يُعنت أمته، ويشق عليها، وعن محجن بن الأدرع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنكم أمَّة أُرِيدَ بكم اليسر)) (١) .

والنبي صلى الله عليه وسلم سلك منهج التيسير الذي أراده الله عز وجل لهذه الأمة، وقام بتربية أصحابه عليه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله لم يبعثني مُعَنِّتاً ولا مُتَعَنِّتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً) (٢) .

قال الصنعاني: فالمعنى أن الله تعالى لم يبعثني مشدداً على الغير، ملزماً له ما يصعب عليه أداؤه ولا طالب لزلته...ولكن بعثني معلماً ميسراً، ولذا كان يقول: ((يسروا ولا تعسروا)).

واعلمي أختي المسلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه دائماً بالتيسير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما بعثتم مُيَسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين)) (٣)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ومُعاذاً إلى اليمن، فقال لهما: ((يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرا وَلَا تُنَفِّرا، وتطاوعا ولا تخْتَلِفا)) (٤) .

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني

(٤) رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِن الدِّين يُسْرٌ، ولنْ يُشَادَّ الدِّين أَحَدٌ إِلَّا غلبه، فَسَدِّدُوا، وقارِبوا، وَأَبْشِرُوا)) (١) .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير النكاح أيسره)) (٢) . وقال صلى الله عليه وسلم: ((خير الصَّداق أيسره)) (٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قَط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه)) (٤) .

قال النووي: فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حراماً أو مكروها. وقال العيني: قولها: بين أمرين أي: من أمور الدنيا، يدل عليه قولها ما لم يكن إثماً. لأن أمور الدين لا إثم فيها.

فما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ بأيسرهما، ما لم يكن إثماً، فكان إذا خير بين أمرين أحدهما فيه عنف والثاني فيه رفق ويسر اختار ما فيه رفق ويسر عليه الصلاة والسلام، فكان دائماً سهلاً ويحب السهل، صلوات الله وسلامه عليه.

فاحرصي أختي على أن تكوني ميسرة لا معسرة، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لم يبعثني الله معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً، وفي رواية أخرى: لم يبعثني معنفاً أو مفتنًا)) (٥) .

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه ابن حبان وصححه الألباني

(٣) رواه الحاكم وصححه الألباني

(٤) رواه البخاري

(٥) رواه أحمد.

المرأة المصلحة بين الناس

نعم المرأة المسلمة أنت لو كنت مصلحة بين الناس، لا مفسدة ولا محرشة بين النساء، ولا تثيرين الضغائن والأحقاد والبغضاء بين المسلمين، نعم المرأة المسلمة أنت لو كنت عرفت أن إصلاح ذات البين عبادة، فعبدت الله عز وجل بهذه العبادة، وتقربت إليه بها، فحرصت على أن تكوني مفتاحا للخير مغلاقا للشر، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين))[(١)] .

عرفت هذه المرأة هذه العبادة -عبادة إصلاح ذات البين – وأنها أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، فأدت هذه العبادة عن قناعة ويقين، فما قيمة صلاة وصيام وصدقة يحرص صاحبها على الإفساد بين الناس، والإيقاع بينهم وإثارة بعضهم على بعض من خلال غيبة أو نميمة أو نقل كلام ناقص أو محرف أو مكذوب؟

بل إن المرأة المسلمة الحقة قد تكذب لتصلح بين الناس؛ لعلمها أن هذا جائز، فعن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لم يكذب من نمَّى بين اثنين ليصلح)). وفي لفظ: ((ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً، أو نمى خيراً))[(٢)] .

(١) الترمذي ٢٤٣٣.
(٢) أبو داود ٤٢٧٤.

فاحرصي أختي المسلمة على إصلاح ذات البين، وتقربي إلى الله بهذه العبادة، ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [(١)] ، ولن يضيع الله أجرك ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [(٢)] ، واحذري أن تكوني مفسدة بين الناس عمداً أو جهلاً، وكوني حذرة فيما تنقلين من كلام أو تحكين من حكايات قد تثير حفيظة الآخرين، أو تلقي في قلوبهم الحقد والحسد والشحناء والبغضاء والغل على أحد من المسلمين، ولا تتسبي في إحداث خصومة بين اثنين أو شجار بين جارتين أو فراق بين أختين، قال صلى الله عليه وسلم: ((تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا)) [(٣)] .

فاحذري أن تكوني سببا في عدم مغفرة ذنوب إخوانك وأخواتك، فاحرصي على اصطلاحهما لا على خصامهما، وعلى التقريب بينهما لا الإبعاد بينهما، وعلى نشر الحب والود والألفة بين المسلمين، لا على إثارة الكراهية بينهم.

وإن من أعظم الصلح الإصلاح بين الزوجين وإعادة العلاقة الطيبة بينهما حينما يحدث بينهما خلاف، يَرْوي ابن عباس رضي الله عنه أن مغيثاً كان عبداً فقال يا رسول الله: اشفع لي إليها (أي إلى زوجته) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) النساء ١٢٨.
(٢) الأعراف ١٧٠.
(٣) مالك ١٤١٤

((يا بريرة اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك))[(١)]، فانظري كيف حاول النبي صلى الله عليه وسلم الإصلاح بين الزوجين المختلفين، ورأب الصدع الذي حدث بينهما، وهذا هو ما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة العاقلة، لا أن يكون دور الواحدة الإيقاع بين زوجة وزوجها، أو بذر الخلاف فيما بينهما، قال صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من خبب[(٢)] امرأة على زوجها أو عبداً على سيده))[(٣)].

فلا تدفعنك الغيرة أو الحقد أو الحسد أو أي شيء إلى أن تفرقي بين زوج وزوجته.

يروى أن امرأة من بلعنبر من سبي ذات الشقوق كانت جميلة، فخافت نساء النبي أن تغلبهن على النبي صلى الله عليه وسلم فقلن لها: إنه يعجبه أن يقال له نعوذ بالله منك، فقالت أعوذ بالله منك، قال صلى الله عليه وسلم: ((قد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني فطلقها))[(٤)].

فانظري كيف دفعت الغيرة نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يفرقن بين هذه المرأة وبين النبي صلى الله عليه وسلم. لكن المرأة المسلمة ينبغي أن تكون مصلحة لا مفسدة، جامعة للمسلمين لا مفرقة بينهم، حريصة على ألفة المسلمين ووحدة صفهم، لا تفريق جمعهم وتشتيت شملهم.

---

(١) أبو داود ١٩٠٤

(٢) خبب: إفساد المرأة بأن يزين إليها كراهة زوجها، والتخبيب هو: إفساد قلب المرأة على زوجها والعبد على سيده.

(٣) أبو داود ١٨٦٠.

(٤) أسد الغابة ج٥ ص٣٩٨

المرأة النظيفة

نعم المرأة أنت لو كنت امرأة نظيفة تحرصين على النظافة وتحبينها، سمعت قول نبيك صلى الله عليه وسلم: ((إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أراه قال أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود))[١] فحرصت على أن تكوني نظيفة في ثيابك، وفي بيتك، وفي حجرات بيتك، وفي ملابس أبنائك، بل وفي فناء بيتك إن كان لبيتك فناء، تحرصين على نظافة مطبخك وأوانيك أولا بأول، ليس بيتك كما تُرى بعض البيوت تعج بالصراصير، وتمتلئ بالحشرات وتعشش فيها العناكب، بل وتنطلق فيها الفئران، ولا تكاد تخلو غرفة من الغرف من القاذورات أو المخلفات.

فبئس هذه المرأة، وبئس هذا البيت المتسخ الذي لا تجد مكانا تجلس فيه، ولا غرفة ترتاح نفسك لنظافتها، ولا كأسا تطمئن إلى الشرب فيها، ولا إناء ترى نضارته، ولا ملعقة ناصعة البياض.

ونعمت المرأة النظيفة التي تحب النظافة وتحرص عليها، وتبذل جهدها في سبيل تحصيلها حتى ترى ملابسها في أحسن حال في بيتها وخارج بيتها، وكذلك ملابس أبنائها وزوجها، وترى بيتها مرتبا، وحجرات بيتها نظيفة، تشم منها الرائحة الطيبة، ترتاح النفس إذا قدم لها الطعام أو الشراب في آنية نظيفة، وأكواب نظيفة، ومناظر مرتبة، فَيُسَّر الرجل منها عندما يدخل بيته، فتكون نعم الزوجة الصالحة التي

(١) الترمذي ٢٧٢٣

قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته ...))[(١)].

وهذه نظافة ظاهرة تسر الناظر إليها، وحتى النظافة الباطنة اهتم بها الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله رضي الله عنه عندما أراد أن يدخل بزوجته: ((أمهلوا حتى تدخلوا ليلا ـ أي عشاء ـ لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة))[(٢)].

فهي تهتم بشعرها وتمشيطه وتغذيته غير مبالغة في ذلك، وتحرص على الاستحداد[(٣)] وسنن الفطرة من تقليم الأظافر وحلق العانة ونتف الإبط مما لا يظهر إلا لزوجها، لكنها إمارات الحرص على النظافة وحب النظافة التي يحبها الله، وهي من سنن الفطرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ))[(٤)].

وتحرص على التطيب والرائحة العطرة في نفسها وأبنائها وبيتها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((حُبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة))[(٥)].

فنعم المرأة أنت لو كنت امرأة نظيفة تحرصين على النظافة وتحبينها.

---

(١) ابن ماجه ١٨٤٧

(٢) البخاري ٤٦٨٩

(٣) الاستحداد هو الاحتلاق بآلة حادة (المعجم الوسيط ج ١ ص١٦٠)

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) أحمد ١١٨٤٥.

المرأة العاملة

نعم المرأة أنت لو كنت امرأة عاملة تجيدين حرفة أو صناعة، أو تستطيعين أن تدبري أمر حياتك، فتخبزين إن أردت، وتصنعين الحلوى بدلاً من شرائها، أو تجيدين الغزل أو الحياكة، أو صناعة المربات أو المخللات، وغيرها من الأمور التي تساعدك على قضاء وقتك فيما يفيد، وتنفعين بيتك وأمك وأباك وإخوانك وزوجك وأولادك، وتخففين الأعباء عن كاهل من ينفق عليك، حتى وإن كانت ظروفكم المادية جيدة إلا أن ذلك مما يجعل لك شخصيتك، ويكفيك عند حاجتك، ويجعلك مشاركة في الإنتاج وصناعة نهضة الأمة.

روي عن ريطة بنت عبد الله بن معاوية الثقفية رضي الله عنها امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنها كانت امرأة صناعاً، وليس لعبد الله بن مسعود مال، فكانت تنفق عليه وعلى ولده من ثمن صنعتها، فقالت: والله لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة، فقال: ما أحب إن لم يكن لك أجر أن تفعلي، فسألتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني امرأة ذات صنعة، فأبيع، فليس لي ولا لولدي ولا لزوجي شيء، ويشغلونني فلا أتصدق، فهل لي في النفقة عليهم أجر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم، فأنفقي عليهم))[١]. فهي امرأة ذات صنعة، تنفق منها على زوجها وأولادها، ولها في ذلك الأجر والمثوبة.

(١) أسد الغابة ج ٥ ص ٤٦١

وورد عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها كانت امرأة صناع اليد، تعمل بيدها وتتصدق في سبيل الله(١).

فلتحرصي أختي على أن يكون لك صنعة أو حرفة، تصنعين الملابس أو الأطعمة، أو تستفيدين من مخلفات البيئة وهي كثيرة، والأفكار في هذا المجال عديدة من إعادة التدوير أو الاستفادة من البيئة الصناعية أو الزراعية التي تحيط بك، فتفيدين وتستفيدين، وتنفعين وتتصدقين، وتشاركين في صنع نهضة وطنك، بأن تكوني امرأة منتجة فاعلة، لا مستهلكة فقط، أو تبيعين وتشترين، أي تعملين في التجارة، وليس هذا عيباً أو مظنة سوء، فقد كانت كثير من الصحابيات يعملن تاجرات، كما ورد عن قيلة الأنمارية رضي الله عنها أنها قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني امرأة أشتري وأبيع(٢)، وكانت مليكة أم السائب بن الأقرع رضي الله عنها تبيع العطر(٣).

فنعم المرأة أنت لو كنت امرأة عاملة تجيدين حرفة أو صناعة، أو تستطيعين أن تدبري أمر حياتك.

---

(١) أسد الغابة ج ٥ ص ٤٦٤
(٢) صفة الصفوة ج ٢ ص ٤٩
(٣) أسد الغابة ج ٥ ص ٥٤٨

الحريصة على طلب العلم

نعم المرأة أنت لو كنت حريصة على طلب العلم، ومعرفة أبواب الخير، والتفقه في الدين، لا ترضين أن تكوني جاهلة، ولا أن تكوني متخلفة عن ركب الحضارة والمدنية، ولا عن معرفة وسائل الاتصال الحديثة، تحرصين على أن تعرفي وأن تتعلمي، وأن تسألي، فالسؤال نصف العلم.

انظري إلى أم الجلاس رضي الله عنها استغلت فرصة دخول النبي صلى الله عليه وسلم بعض بيوت أبي ربيعة فقالت له أسماء: يا رسول الله ألا توصني؟ قال: ((آتي إلى أختك ما تحبين أن تأتي إليك))[(١)].

ألا تحبين أن تكوني مثل زينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي قيل عنها كانت من أفقه نساء زمانها[(٢)].

وانظري أيضاً إلى سهلة بنت سهل رضي الله عنها عندما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أتغتسل إحدانا إذا احتلمت؟ قال: ((نعم إذا رأت الماء))[(٣)]، فهي حريصة على السؤال، والسؤال نصف العلم؛ لتعلم بنات جنسها أمراً من أمور دينها، وانظري أيضا إلى ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها عندما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إني أريد الحج أفأشترط؟ قال: ((نعم))،

(١) أسد الغابة ج٥ ص٣٩٣
(٢) أسد الغابة ج٥ ص٤٦٩
(٣) أسد الغابة ج٥ ص٤٨٣

قالت: كيف أقول؟ قال: ((قولي: لبيك اللهم لبيك، لبيك محلي من الأرض حيث تحبسني)) [(١)] .

وانظري إلى حرص عائشة رضي الله عنها عندما حضرت صلاة الكسوف مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قام خطيباً فذكر فتنة القبر ...فضج المسلمون ضجة حالت بينها وبين أن تفهم آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فلما سكت ضجيجهم قالت لرجل قريب منها: ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر كلامه؟ [(٢)] . حرصاً منها رضي الله عنها على ألا يفوتها شيء من العلم.

وقد تتلمذ على يديها العديد من الصحابة الكرام، ونهلوا من علمها، وأخذوا من معينها، وارتشفوا من رحيق فقهها.

وقد تبوأت العديدات من الصحابيات الجليلات مكانة عالية رفيعة من العلم وطلبه، وفي تعليم المسلمين العلم، تأملي في قول داود بن الحصين وهو يقول: كنت أقرأ على أم سعد بن الربيع رضي الله عنها [(٣)] ، أي كان يتلقى على يديها العلم، ليثبت الإسلام بذلك المكانة العليا التي تتبوؤها المرأة في تشريعاته، حتى يتلقى الرجال على يديها العلم، لا كما يتهم البعض الإسلام بالتخلف وبالرجعية، وبأنه لا يعطي المرأة حقها، لقد كرمها، ولم ينل من مكانتها كونها أنثى، إنما هن شقائق الرجال.

(١) أسد الغابة ج٥ ص٤٩٥
(٢) أسد الغابة ج٥ ص٥٠١
(٣) أسد الغابة ج٥

ولقد كانت النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يزاحمن الرجال في طلب العلم، فكما روى الإمام البخاري رحمخ الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غَلَبَنَا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن ...."[(١)].

وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القراءة قال اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ [(٢)].

قال مسروق: نحلف بالله لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة رضي الله عنها عن الفرائض.

وعن عروة عن أبيه رضي الله عنهما قال: ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها[(٣)].

وانظري إلى ميمونة رضي الله عنها عندما قالت: يا رسول الله أفتنا عن الصدقة، قال صلى الله عليه وسلم: ((إنها حجاب من النار لمن احتسبها يبتغي بها وجه الله تعالى)). قالت افتنا في ثمن الكلب. قال: ((طعمة جاهلية، وقد أغنى الله عنها)). قالت: أفتنا في عذاب القبر. قال: ((أثر البول، فمن أصابه بول فليغسله،

---

(١) البخاري ٩٩

(٢) صفة الصفوة (حفصة بنت سيرين)

(٣) صفة الصفوة ج٢ ص ٣٢

فمن لم يجد ماء مسحه بتراب طيب)). وفي رواية أفتنا عن السرقة. قال: ((من أكلها وهو يعلم أنها سرقة فقد شرك في إثمها وعارها)). وفي رواية أنها قالت: يا رسول الله أفتنا في الغسل من الجنابة، كم يكفي الرأس من الماء؟ قال: ((ثلاث حثيات))[١].

ألا تحبين أختي المسلمة أن تكوني مثل الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنهما فقد كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيا، وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[٢].

فنعم المرأة أنت لو كنت حريصة على طلب العلم، ومعرفة أبواب الخير، والتفقه في الدين.

(١) أسد الغابة ج٥ ص٥٥٣.
(٢) أسد الغابة ج٥ ص٥٠٤.

المرأة الوسط في نفقاتها

نعم المرأة أنت لو كنت امرأة وسطًا في نفقاتك، لست بخيلةً ولا شحيحة، ولا مبذرة ولا مسرفة، التزمت بقول ربك: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[1]، فكنت معتدلة، لا إلى الإسراف تميلين، ولا إلى التقتير والبخل والشح تجنحين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة))[2].

فنعم المرأة أنت لو كنت لا تفعلين كما تفعل كثير من النساء، تشترين ما لا حاجة لك به، وتكثرين من الملابس والأواني والمفارش والأجهزة كثرة مرهقة، عاصفة بأموالك أو أموال أبيك أو زوجك، مضيقة على نفسك في بيتك من كثرة الأثاث والفراش، وتضيقين الأماكن بالأواني والأكواب وغيرها.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان))[3]، فماذا عن الخامس والسادس والثاني عشر يا رسول الله؟ وماذا عن الدستة[4] والدستتين من المفارش والأكواب وغيرها؟.

---

(١) الفرقان ٦٧

(٢) الترمذي ١٩٣٣

(٣) مسلم ٣٨٨٦

(٤) الدستة: حزمة ونحوها تجمع اثني عشر فردا من كل نوع (المعجم الوسيط ص ٢٨٣)

وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (١)، وقال عز من قائل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((وكلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة)) (٣).

فانظري أختي المسلمة إلى هذه الآيات والأحاديث التي تدعوك إلى التوسط في غير إسراف أو تبذير ولا بخل ولا تقتير.

وانظري إلى من هو أفضل منا، وكان بسيطا في فراشه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم من أدم وحشوه من ليف (٤).

ويروى أن عمر رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد أثر في جانبه، فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها)) (٥).

فنعم المرأة أنت لو كنت امرأة وسطًا في نفقاتك، لست بخيلة ولا شحيحة ولا مبذرة ولا مسرفة.

---

(١) الأعراف ٣١

(٢) الإسراء ٢٩

(٣) النسائي ٢٥١٢

(٤) البخاري ٩٧٥

(٥) أحمد ٢٦٠٨

المرأة الواصلة لرحمها

نعم المرأة أنت لو كنت تصلين رحمك، وتودين أقاربك وتحسنين إليهم، وتمدين يد العون لهم، ولا تَمُنِّين عليهم بفضل لك، تتفقدين أحوالهم، وتسألين عن أخبارهم، وتشاركينهم أفراحهم وتفرحين لفرحهم، وتواسينهم في أحزانهم وتحزنين لحزنهم، وتحاولين جاهدة إدخال السرور عليهم، علمت أن الله أمرك بصلة الرحم فوصلتها، لتكوني ممن قال الله فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [1]، ولم تريدي أن تكوني ممن قال الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [2].

وقد يسيء بعض الأقارب إليك، أو يقطعونك ويمنعونك حقك، فلا يدفعنَّك ذلك إلى قطعهم أو الإساءة إليهم أو معاملتهم بالمثل، ولكن تحسنين إلى من أساء إليك، وتعطين من منعك وحرمك، وتَبُشِّين في وجه من يعبس في وجهك، وتلقين السلام على من لا يلقي السلام عليك، وتشاركينهم أفراحهم رغم أنهم لم يشاركوك فرحك، وتُوَفِّين حقهم رغم أنهم لم يعطوك حقك، وأنت في كل ذلك تضعين أمام

(١) الرعد ٢١ .

(٢) البقرة ٢٧ .

عينيك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: ((أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم)) [(١)] .

وتتذكرين موقف الصحابي الجليل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال صلى الله عليه وسلم: ((لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل [(٢)] ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)) [(٣)] .

ولتعلمي أختي المسلمة أن صلة الرحم توسع في الرزق وتبارك في العمر، فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ أَحَبَّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)) [(٤)] .

ولتعلمي أنك عندما تَصِلِين رحمك إنما تصلين الله عز وجل، وسيصلك الله عز وجل، وعندما تقطعين رحمك سيقطعك الله عز وجل لا محالة، فعن عائشة رضى الله عنها قالت قال صلى الله عليه وسلم: ((الرحم معلقة بالعرش، تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)) [(٥)] .

---

(١) ابن ماجه٤٢٠٢

(٢) فكأنما تسفهم الملَ : الملّ: هو الرماد الحار، وتسفهم: يعني تجعله في أفواههم، والمعنى: أنك كأنما ترغمهم بهذا الرماد الحار عقوبة لهم

(٣) مسلم ٢٥٥٨.

(٤) متفق عليه البخارى١٠/٣٤٨ ومسلم٢٥٥٧.

(٥) متفق عليه البخارى١٠/٣٥٠ ومسلم٢٥٥٥.

ولا تحرمي نفسك من دخول الجنة بقطعك لرحمك وعدم صلتهم أو السؤال عنهم، أو يصل بك الحد إلى معاداتهم أو أذيتهم أو النيل منهم، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة قاطع))(١).

واعلمي أن قطعك لرحمك ستعجل لك عقوبته في الدنيا فضلاً عن الحرمان من الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: ((ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم))(٢).

ولتكوني أختي المسلمة صاحبة فضل على أهلك وقومك، فاتحة خير لهم، لا ضانة بفضلك عليهم، ولا كاتمة ما آتاك الله من فضله، ولا من ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾(٣).

ولكن كوني كأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها التى كانت- كما قالت عنها عائشة رضي الله عنها- "ما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها"(٤).

وقد بلغ من حب بعض نساء المسلمين الخير لأقاربهم وأرحامهم أن أرادت إحدى نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهي أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها

---

(١) متفق عليه البخارى١٠/٣٤٧ ومسلم٢٥٥٦.
(٢) الترمذي ٢٤٣٥
(٣) النساء ٣٧
(٤) أسد الغابة ج٥ ص٤٢٠

أن تزوِّج أختها لزوجها، فقد قالت أم حبيبة للنبي صلى الله عليه وسلم: انكح أختي بنت أبي سفيان قال: ((وتحبيه؟)) قالت: نعم، لست لك بمخلية [(١)]، وأحب من شاركني في خير أختي [(٢)].

انظري إلى قولها: أحب من شاركني في خير أختي، إنها نفسية صافية، وقلب مليء بالحب لا بالحقد ولا بالحسد والضغينة والغل والشحناء وكراهية الخير للآخرين.

فنعم المرأة الواصلة رحمها المتمنية لهم الخير، الساعية لخيرهم، وبئس المرأة القاطعة رحمها، الحريصة على ألا ينال خيرها أحد من أقاربها.

---

(١) أي: لست بمنفردة بك ولا خالية من ضرة.

(٢) البخاري ٤٧١٦

المرأة التي ترحم الصغير وتوقر الكبير

نعم المرأة أنت لو كنت ترحمين الصغير وتوقرين الكبير، وترفقين بكل منهما، وتحرصين على استيعاب كل من حولك صغيراً كان أو كبيراً، طفلاً أو شيخاً، رجلاً أو امرأة، مع خلق حسن، وصبر جميل، وإكرام للكبير، وعطف على الصغير، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء شيخ يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأبطأ القوم عن أن يوسعوا له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا)) [1]، وفي رواية: ((ويعرف شرف كبيرنا)).

فاحترام الكبير وتوقيره والعطف على الصغير ورحمته من الأصول الأخلاقية الكبرى التي تعطي للمسلم هويته في المجتمع الإسلامي، ومن فقدها انخلع من عضوية هذا المجتمع.

واحترام الكبير خاصة في مجتمع من المجتمعات دليل رقي هذا المجتمع، وآية على فهم أعضائه لقواعد الأخلاق الإنسانية، وعلامة على سمو نفوس أفراده وتهذيبها.

والعطف على الصغير في الإسلام دليل على أن الإسلام دين رحمة، فلا يكلف نفساً إلا وسعها، ولأن الصغير لا يمتلك القدرة على فهم كل ما يحيط به لبراءته وغفلته، فكان من باب أولى أن يحثّنا على إعانته والعطف عليه بتعليمه وإرشاده للصواب وعدم محاسبته، ودليل ذلك أنّ الإسلام لم يكلّفه بالعبادات إلا حين بلوغه

(١) الترمذي ١٩٢٠

ورشده، أي عندما يصبح مدركاً، يكتسب المهارات ويحسن التفكير والتصرف، فكيف تعاقبينه على أشياء لا يستطيع فعلها، أو لا يقدر على حملها فَكَسَرَها، أو تتعنتين معه في أداء صلوات أو عبادات لم تفرض عليه بعد؟!. أو تكلفينه ما لا طاقة له به؟!

وأذكر هنا أم الزوج وأباه، فهما مع كونهما أصحاب رحم وصلة قرابة، ولهما حقوق أخرى، إلا أنهما إذا ما نظرنا إليهما على أنهما كبيران يستحقان التوقير والإكرام والإحسان وطيب المعاملة وحسن المعاشرة وجمال المقابلة وحسن الاستقبال والتوديع، فينبغي أن يُكْرما إكراماً للزوج من ناحية، وإكراماً لسنهما من ناحية أخرى، عسى الله أن يقيِّض لنا من يكرمنا عند كبر سننا، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أكرم شاب شيخاً لِسِنِّهِ إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه))[(١)].

ومن توقير الكبير مخاطبته بالكلمة الطيبة التي هي صدقة، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((كل سلامى عليه صدقة كل يوم، يعين الرجل في دابته يحمله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ودل الطريق صدقة))[(٢)].

فنعم المرأة التي توقر أبا الزوج وأمه فتكون سبباً في بر زوجها بوالديه وعدم التفريق بينهما، وبئس المرأة التي كانت سببا لعدم توقير الكبير، وكانت سبباً في التفريق

(١) رواه السيوطي في الجامع الصحيح، وقال: حسن
(٢) البخاري ٢٨٩٢

بين زوجها ووالديه، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة))[(١)] .

فاحرصي أختي المسلمة على أن ترحمي الصغير، وأن توقري الكبير، وأن تكرمي الشيوخ، وأن تعطفي على الأطفال، وأن تكوني ذات خلق حسن مع الجميع، قال صلى الله عليه وسلم: ((وخالق الناس بخلق حسن))[(٢)] ، ومن توقير الكبير تسويده وإعطاؤه حقه من التقديم، فعن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى ولده عند موته قال: اتقوا الله عز وجل، وسَوِّدُوا أكبركم، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم[(٣)] .

(١) الترمذي ١٥٦٦.
(٢) أحمد ٢٠٣٩٢.
(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: سنده حسن.

المرأة التي تكرم ضيوفها وتحسن مقابلتهم

نعم المرأة المسلمة أنت لو كنت تكرمين ضيوفك، وتحسنين مقابلتهم، وتحرصين على إدخال السرور عليهم، وتشعرينهم أثناء وجودهم برغبتك الملحة في استمرار وجودهم، وبشرفك باستقبالهم، وتتكلفين بعض الأمور والتصرفات التي تشعرهم بحفاوتك البالغة بهم.

انظري أختي المسلمة إلى ابْنَيْ بُسْر السَّلَمِيَيْن قالا: " دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعنا تحته قطيفة لنا صببناها له صبا فجلس عليها ... وقدمنا له زبدا وتمرا، وكان يحب الزبد صلى الله عليه وسلم"[(١)]. فقد وضعا لضيفهم صلى الله عليه وسلم ما يجلس عليه خصيصا، وقدما له ما يحب من الطعام، وهو بلا شك إكرام للضيف الذي هو مظهر من مظاهر الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[(٢)]، ومن إكرام الضيف ملاقاته بوجه طلق لا بوجه عبوس مكفهر يُشْعِر بعدم الرغبة في وجود الضيف أو الضيق به أو التبرم من خدمته، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق))[(٣)].

(١) ابن ماجة ٣٣٢٥
(٢) البخاري ٦٧
(٣) مسلم ٤٧٦٠

وبسط الوجه والبشاشة والابتسامة من حسن الخلق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّكُمْ لا تَسَعونَ النَّاسَ بأَمْوالِكُمْ، ولكِنْ لِيَسعْهُمْ مِنكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ))(١)، وإذا ما قابلتِ ضيوفك بابتسامة عريضة وبشاشة جميلة فأنت بذلك تَسْتنين بسنة سيد الأولين والآخرين، فعن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: "ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٢).

ولتتخيري أختي المسلمة الألفاظ المناسبة لضيوفك، مراعية مستواهم التعليمي والاجتماعي، ومراعية أعمارهم ومكانتهم، ولتقرني ألفاظ الترحيب بألفاظ المدح والثناء بلا مبالغة، عن أم هانئ رضي الله عنها قالت " ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره بثوب، قالت: فسلمت فقال: ((من هذه؟)) قلت: أنا أم هانئ. فقال: ((مرحبا بأم هانئ))(٣).

انظري إلى قوله صلى الله عليه وسلم: مرحباً بأم هانئ، ومرحباً بكل الضيوف، وكل زائر، بل إنه ورد عن علي رضي الله عنه قال: جاء عمار رضي الله عنه يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب))(٤).

(١) رواه الحاكم في المستدرك
(٢) الترمذى ٣٥٧٤.
(٣) الترمذى ٢٦٥٨.
(٤) الترمذي ٣٤٧٦.

ولتنزلي الضيوف منازلهم التي تليق بهم، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أصلحي لنا المجلس فإنه ينزل ملك إلى الأرض لم ينزل إليها قط))[١].

(١) أحمد ٢٥٣٢٥.

المرأة التي تسعى لخدمة قومها

نعم المرأة أنت إن كنت تسعين لخدمة قومك، وتتمنين العمل على نفع مجتمعك، وتسعين جاهدة لإدخال السرور على أهلك وأهل قريتك أو حيِّك أو مدينتك أو وطنك، وتحبين العمل العام والخدمة المجتمعية والمشاركة في أوجه الخير، سواء كان ذلك عملا منظما في جمعيات خيرية ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة، أو كان ذلك سعيا فرديا منك لرعاية الأيتام، وتفقد أحوال المرضى والأرامل، ومواساة الفقراء، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين، وقضاء مصالح الناس وحوائجهم قدر استطاعتك.

انظري إلى أمية بنت قيس بن أبي الصلت رضي الله عنها عندما قالت جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من غفار فقلنا: إنا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((على بركة الله))[(١)] .

واسمعي إلى قول معاذة الغفارية رضي الله عنها: كنت أنيساً برسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج معه في الأسفار، أقوم على المرضى، وأداوي الجرحى[(٢)] .

(١) أسد الغابة ج٥ ص٤٠٥

(٢) أسد الغابة ج٥ ص٥٤٨

وانظري إلى خرقاء رضي الله عنها وهي امرأة سوداء كانت تقم المسجد (أي تنظف) المسجد، مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)، وكذلك محجنة رضي الله عنها كانت تقم المسجد (٢).

وأم عطية الأنصارية رضي الله عنها كانت تغسل الموتى، وتغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣).

وانظري إلى أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها قَتَلَتْ يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها (٤)، وتأملي في سيرة أم عمارة رضي الله عنها فقد ورد عنها أنها شهدت بيعة العقبة، وشهدت أحداً وشهدت بيعة الرضوان، وشهدت يوم اليمامة، فقاتلت حتى أصيبت يدها، وجُرِحت يومئذ اثنتي عشرة جراحة.

وانظري إلى حمنة بنت جحش رضي الله عنها عندما شهدت أحداً، فكانت تسقي العطشى، وتحمل الجرحى وتداويهم (٥)، وكذلك أم أيمن رضي الله عنها حضرت أحداً، وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى (٦).

---

(١) أسد الغابة ج٥ ص٤٣٩
(٢) أسد الغابة ج٥ ص٥٤٤
(٣) أسد الغابة ج٥ ص٦٠٣
(٤) أسد الغابة ج٥ ص٣٩٨
(٥) أسد الغابة ج٥ ص٤٢٨
(٦) صفة الصفوة ج٢ ص٥٥

وهذه نماذج من أعمال الخير والمشاركة في العمل العام بكل ألوانه وأشكاله وردت عن صحابيات جليلات ونساء فضليات.

وحبذا لو كنت أيتها المرأة المسلمة الصالحة في ذلك كله تريدين وجه الله والدار الآخرة، لا تبتغين من وراء عملك العام ولا خدمة مجتمعك جزاءً ولا شكوراً من أحد، ولا تبتغين من وراء ذلك شهرة ولا منصباً ولا جاهاً ولا سلطاناً، ولا تَمُنِّين على أحد ممن أحسنت إليهم أو قدمت لهم معروفاً، لأنك تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((... وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى))[(١)].

فاحرصي أختي المسلمة على نفع الآخرين وإعانتهم على أمور حياتهم يكن لك ذلك صدقة، قال صلى الله عليه وسلم: ((كل سلامى عليه صدقة، كل يوم يعين الرجل في دابته يحمله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة ....))[(٢)].

فنعم المرأة أنت لو كنت تسعين لخدمة قومك ونفعهم تبتغين وجه الله والدار الآخرة.

(١) النسائي ٢٥١٥

(٢) البخاري ٢٦٧٧

المرأة الصالحة التي تقبل عذر الآخرين

نعم المرأة الصالحة أنت إن كنت تقبلين عذر من اعتذر إليك ممن أخطأ في حقك أو قصَّر فيه، وتقيلين عثرته، وتغفرين له زلته، وتعفين وتصفحين عنه إذا أخطأ أو قصر في حقك، ولا توغرين صدرك، وتملئين قلبك غلا وحقدا وبغضا لمن أخطأ في حقك أو قصر في واجبه نحوك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من اعتذر إلى أخيه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس[١]))[٢]. فنعم المرأة التي تقبل معذرة من اعتذر إليها، وتقول له عفوت عنك فتزداد في نظره جمالاً ورفعة، قال صلى الله عليه وسلم: ((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً))[٣].

ونعم المرأة التي عفت كلما اعتذر المخطئون أو المقصرون في حقها، وقبلت المعذرة كلما أبداها المعترفون، ولا تَقُل قد عفوت وعفوت وقبلت وقبلت، فلن أقبل بعد اليوم.

---

(١) صاحب المكس: هو الذي يأخذ الضرائب من الناس في غير حق، فإنه يكثر خصومه يوم القيامة، ويكثر الآخذون من حسناته يوم القيامة؛ لكونه قد ظلمهم، وصاحب المكس فسر بأنه الذي يأخذ من سلع الناس ومن الأشياء التي يبيعونها، والمكس هو النقص؛ سمي بذلك لأنه ينقصهم ويأخذ منهم شيئاً لا يجب عليهم، فيكون ذلك مكساً أي: نقصاً في حقهم، وهذا ظلم لهم. وقيل: إن المقصود من ذلك: أنه يأخذ منهم زيادة على الزكاة، فيأخذ شيئاً غير واجب يختص به الساعي، وهذا ظلم.

(٢) ابن ماجه ٣٧٠٨.

(٣) مسلم ٤٦٨٩ .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فقال: ((كل يوم سبعين مرة))[(١)] ، هذا عن الخادم أو العبد أو الأمة التي اشتراها مالكها بماله من أجل خدمته، يقبل المرء عذرها وخطأها سبعين مرة في اليوم، فهل أخطأ من اعتذر إليك من أب أو أم أو أخ أو أخت أو زوج وهم أكثر الناس حقا عليك هل يخطئ في اليوم سبعين مرة؟ فإن أخطأ فاعفِي عنه، وخاصة إن أبدى اعتذاره، وندم على خطئه فاقبلي ذلك، ولا تحملي له في قلبك بغضا ولا حقدا ولا غلا؛ لتكوني من أفضل الناس، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: ((كل مخموم القلب صدوق اللسان)). قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: ((هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد))[(٢)] .

فاكظمي غيظك مِن خَطَأِ من أخطأ في حقك؛ ابتغاء وجه ربك؛ لتنالي أجره ومثوبته، فنعم المرأة أنت إن فعلت ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: ((ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله))[(٣)] .

(١) الترمذي ١٨٧٢.
(٢) ابن ماجه ٤٢٠٦ .
(٣) ابن ماجه ٤١٧٩ .

فنعم المرأة التي كظمت غيظها عند خطأ الآخرين في حقها، ثم عفت عنه، وقبلت عذره واعتذاره ولم تبقي له في قلبها إلا الحب والود والمودة والرحمة.

وبئس المرأة التي لا تكظم غيظها بل تنفذه، ولا تعفو عن الآخرين ولا تصفح ولا تقبل عذره إذا اعتذر إليها، بل كلما حاول ازدادت معه تعنتا وإعراضا، وملأت قلبها عليه حقداً وغلًّا وبُغضاً وشحناء، فَشَقَتْ وأشقت معها الآخرين، وجعلت الكآبة مسيطرة على حياتها.

المرأة التي تحسن اختيار صديقاتها وصاحباتها

نعم المرأة أنت لو كنت ممن أحسنت اختيار صديقاتك وصاحباتك، فلا تصادقين إلا صالحة، ولا تخاللين إلا أمينة، ولا تصاحبين إلا مؤمنة، ولا تأتمنين على سرك وبيتك إلا تقية، ولا تشاورين في أمور حياتك إلا عاقلة حكيمة، ولا تسعين إلى إقامة علاقة ود وصداقة وأخوة إلا مع ذوات الدين والخلق القويم، لأنك علمت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))[(١)]، وعلمت أن علاقة الصديقة والصاحبة والخليلة ممتدة حتى بعد انتهاء الدنيا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[(٢)].

نعم المرأة التي حرصت حرصاً شديداً على أن تختلط بالصالحات المؤمنات القانتات العابدات الصوامات القوامات، المتخلقات بأخلاق أمهات المؤمنين، الساعيات لتطبيق سنة سيد المرسلين، المعتصمات بحبل الله المتين، تتعاون معهن على البر والتقوى، ولا يتكلمن في مجلسهن إلا بخير، ولا يذكرن أحداً بسوء، ولا يكذبن ولا يغتبن ولا يتفحشن، بل يذكرن الله، ويصلين على نبيهن صلى الله عليه وسلم، وتدل كل واحدة أختها على الخير، وتتبادلن الخبرات الحياتية الصحيحة لا الفاسدة، ويتعلمن من بعضهن إعداد الطعام وتدبير البيوت، وبر الوالدين وحسن التعامل مع الإخوة، وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، وتربية الأبناء وحسن معاملة الأزواج، ولا يُخرجن

(١) الترمذي ٢٣٠٠

(٢) الزخرف ٦٧

أسرارهن ولا أسرار بيوتهن، ولا يصفن أزواجهن لبعضهن، قال رسول الله صلى الله علية وسلم: ((إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها))(١).

فنعم المرأة المسلمة التي تبحث جاهدة عن صديقات صادقات مؤمنات مؤتمنات، صديقات صالحات، حتى يُعِنَّ بعضهن على أمر دينهن ودنياهن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾(٢).

قال صلى الله عليه وسلم: ((إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة))(٣).

فإياك أختي أن تحرقي ثيابك، أو تشمي رائحة منتنة من صديقة مفسدة، أو خليلة ذات سمعة سيئة، أو امرأة ذات همة دنيئة أو أخلاق ذميمة أو عادات رذيلة أو ألفاظ بذيئة أو أفكار رديئة، أو امرأة ناشز، أو امرأة مترجلة، قال صلى الله عليه وسلم:

(١) أبو داود ٤٢٢٧
(٢) الكهف ٢٨
(٣) البخاري ٩/٥٦٩ مسلم ٢٦٢٨

((ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث))[1].

ولتحذر المرأة المسلمة أن يكون مجلسها مع صاحبتها مجلس شكاية من الأزواج ومن أفعالهم وتصرفاتهم وأخلاقهم، فقد قال النبي صلى الله علية وسلم: ((لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهم، ليس أولئك بخياركم))[2].

فنعم المرأة أنت لو كنت ممن أحسنت اختيار صديقاتك وصاحباتك.

(١) النسائي ٢٥١٥

(٢) أبو داود ١٨٣٤

المرأة التي تعترف بالفضل لأهل الفضل

نعم المرأة أنت لو كنت تعترفين بالفضل لأهل الفضل، فتكوني امرأة ذات مصداقية، لا يمنعك من ذلك حسد ولا شحناء ولا بغضاء ولا غيرة ولا أي اعتبار آخر، فتتذكرين قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[(١)].

وبئس المرأة التي يدفعها حقدها أو حسدها أو غيرتها أو هواها إلى أن تشهد شهادة الزور، ولا تقر لأهل الفضل بفضلهم، أو أن تذكر أحداً بسوء اندفاعاً وراء غرض، انظري إلى قول عائشة رضي الله عنها في زينب ضرتها: "ولم أر امرأة أكثر خيراً وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل من زينب"[(٢)].

فالاعتراف بالجميل خلق من الأخلاق الفاضلة، وسجية من السجايا الكريمة، تدل على سلامة القلب، وطهارة النفس، ونقاء السريرة، كما أنها تدل على قيمة من أعظم القيم الإسلامية وهي الوفاء، أما عدم الاعتراف بالجميل والتنكر لصاحبه فإنه يدل على خسة النفس ولؤم الطبع.

---

(١) المائدة ٨

(٢) صحيح ابن حبان ٧١٠٥

واعلمي أختي الكريمة أن الناس في هذه الحياة الدنيا لا غنى لهم عن بعضهم البعض، والعبد الذي يسعى في قضاء حوائج إخوانه ودفع الأذى عنهم هو من خير الناس وأحبهم إلى الله تعالى.

وإذا كان الإسلام قد حث الناس على خدمة بعضهم البعض، ورتب على ذلك الأجر الجزيل، فإنه أيضا قد حث المسلم أن يشكر لمن أدى إليه معروفا، وأن يكافئه إن استطاع وإلا فَلْيَدْعُ له. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)) [2].

إن الناس قد فُطروا على حبِّ الشكر والثناء عليهم، وهذا مما يؤثر فيهم، ويُبْقِي على بذلهم المعروف والإحسان، مع أن الأصل ألا يرجو المرء بفعله من الناس جزاءً ولا شكوراً، لكن شكر الناس لمن أدى إليهم معروفا، واعترافهم بالفضل يشيع في المجتمع روح المروءة والنجدة والنخوة والبذل والإحسان والعطاء، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث الناس على شكر بعضهم عند الإحسان: ((لا يشكر الله مَنْ لا يشكر الناس)) [3].

---

(١) البقرة ٢٣٧

(٢) رواه النسائي، وصححه الألباني

(٣) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

ويُفهم من هذا أن من يشكر الناس على صنائع المعروف ويعترف لهم بالفضل إنما هو في الحقيقة يشكر الله عز وجل.

وانظري إلى الرجل الصالح صاحب مدين حين سقى موسى عليه السلام لابنتيه أرسل إحداهما إليه تقول: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾(١).

وقد كان من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقبل الهدية ويثيب عليها، وحين اقترض من عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي قرضا قبل غزوة حنين ردَّه إليه بعد الغزوة، وقال له: ((بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد))(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فخرج النبي وقد عصب على رأسه حاشية بُرْدٍ، فصعد المنبر- ولم يصعده بعد ذلك اليوم – فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي (أي موضع سري وأمانتي) وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من مُحْسِنهم وتجاوزوا عن مُسِيئِهم)). بل واعترف لصحابته جميعا بالفضل،

---

(١) القصص ٢٥
(٢) رواه أحمد وغيره بإسناد جيد

فقال: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ))[(١)].

وتأملي في اعتراف النبي صلى الله عليه وسلم بالفضل للمطْعِم بن عدي، الذي أجار النبي صلى الله عليه وسلم عندما عاد من الطائف مهموما حزينا، فخشى أن يمنعه أهل مكة من دخول مكة، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم حتى يحميه من أذى المشركين، ويمكنه من دخول مكة بلا أذى، وكان المطعم مشركا، وقد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفضل للمطعم، فقال يوم غزوة بدر عندما أُسر سبعون من المشركين ((لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ))[(٢)].

وانظري أختاه إلى اعترافه صلى الله عليه وسلم بالفضل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال مثنياً عليه، ومظهراً فضله: ((إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومَالِهِ أبَا بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غيرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ، ولَكِنْ أُخُوَّةُ الإسْلَامِ ومَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ بَابٌ إلَّا سُدَّ إلَّا بَابَ أبِي بَكْرٍ))[(٣)].

وقال أيضا مظهرا فضله: ((ما لِأَحدٍ عندَنَا يَدٌ إلَّا وقَدْ كافأناهُ، ما خلَا أبا بكرٍ، فإنَّ لَهُ عِندنَا يَدًا يُكافِئُهُ اللهُ بِها يومَ القيامَةِ، ومَا نفعَنِي مَالُ أحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعنِي

(١) صحيح مسلم ٢٥٤٠
(٢) رواه البخاري في صحيحه ٤٠٢٤
(٣) رواه البخاري في صحيحه ٣٦٥٤

مالُ أبي بِكْرٍ، ولَوْ كنتُ متخِذًا خَلِيلًا، لاتخذْتُ أبا بكرٍ خلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صاحِبَكُمْ خليلُ اللهِ))[1]

بل كان الصالحون والعلماء يرون أنه ينبغي على العبد أن يشكر ويعترف بالفضل لمن سعى في قضاء حاجة أخيه وإن لم يتيسر له إنجازها، فيكفيه أنه سعى واهتم.

وهكذا يكون أصحاب النفوس السامية، والهمم العالية، يُحيون المعروف بين الناس، فلا يدعون محسناً إلا ويكافئونه ويعترفون بفضله، فلا يمكن أن يكون المؤمن جحودا ولا كفورا.

فنعم المرأة أنت لو كنت تعترفين بالفضل لأهل الفضل.

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع

المرأة الداعية إلى ربها

نعم المرأة أنت لو كنت امرأة داعية إلى ربك، عرفت أنه لا يكفي المسلم أن يلتزم بدينه، بل لابد أن يدعو غيره إلى طريق الله، وأن يدله على الخير ((فالدال على الخير كفاعله))(١).

نعم المرأة أنت لو كنت حريصة على أن يكون لك دور دعوي، تسعين من خلاله لإعزاز دين الله ونصرته والتمكين له في الأرض، من خلال الأخذ بأيدي غيرك إلى الله عز وجل، مقتدية في ذلك بأولات العزم من النساء الفضليات السابقات اللاتي شاركن الرجال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الناس إلى الخير، ولست أخيتي بأقل من أم شريك الدوسية رضي الله عنها عندما أسلمت، فجعلت تدخل على نساء قريش فتدعوهن سراً، وترغبهن في الإسلام(٢).

والمرأة كالرجل عليها واجبها في الدعوة إلى الله، فالقرآن يعم الجميع، والسنة تعم الجميع، وهناك نصوص في الكتاب والسنة تفيد اشتراك المرأة في الدعوة مع الرجل في خطاب التكليف كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكراً فليغيّره))(٤).

---

(١) حديث شريف، أخرجه أبو يعلى في مسنده، والطبراني في مكارم الأخلاق، والبيهقي في شعب الإيمان

(٢) أسد الغابة ج٥ ص٥٩٤.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

(٤) رواه مسلم

وهناك نصوص صريحة خاصة بتكليف النساء بالدعوة، كما في قوله تعالى عن نساء النبي: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [(1)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [(2)].

فعلى المرأة المسلمة أن تدعو إلى الله، وأن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر، بالآداب الشرعية التي تُطْلب من الرجل، وعليها بعد ذلك ألاَّ يحملها ما تقوم به من دعوة وإرشاد وإنكار المنكر إلى الجزع وقلة الصبر، لاحتقار بعض الناس لها وسبهم لها وسخريتهم لها، أو نحو ذلك بل عليها أن تتحمل، وعليها أن تصبر ولو رأت من بعض الناس ما يكون من السخرية أو من الاستهزاء أو من الاحتقار، ثم عليها أيضاً أن تراعي أن تكون مثالاً في العفة والحجاب، وأن تبتعد عن التبرج والاختلاط المذموم، ولتكن دعوتها مع العناية والبعد عما ينكر عليها، فإن دعت الرجال دعتهم وهي محتجبة من غير خلوة، وإن دعت النساء دعتهن بحكمة، وعليها أن تكون نزيهة بأخلاقها وسيرتها، حتى لا يعترض الناس عليها، ويقولوا لماذا لم تبدأ بنفسها.

لا شك أن للمرأة دوراً هاماً في إصلاح المجتمع وتوجيهه، ولذا فإن الإسلام أكد على أهمية إصلاح المرأة وتأهيلها لهذا الدور العظيم، ثم بث فيها هذه الروح الطيبة التي تدفعها إلى العمل، وذلك في عدة نصوص مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما النساء شقائق الرجال)) [(3)].

---

(١) الأحزاب: ٣٢

(٢) الأحزاب: ٣٤

(٣) صححه السيوطي في الجامع الصغير.

وغير ذلك من النصوص التي تبين أن للمرأة دورا في المجتمع لا بد أن تؤديه وتحرص عليه.

والدعوة إلى الله جل وعلا من أعظم الأمور التي يجب على المرأة العناية بها ورعايتها، خاصة في هذا العصر الذي طغت فيه الفتن وتجاوزت الحد، وابتعد كثير من الناس عن الدين الصحيح، وانفتحوا على الغرب بما فيه من انحرافات وفساد في العقيدة والأخلاق والقيم وغيرها.

وعلى المرأة الداعية تقوية إيمانها بكثرة التقرب إلى الله بالصيام والقيام وقراءة القرآن والتصدق وغير ذلك، فإن هذا من أسباب إعانتها على الدعوة إلى الله، ومن أسباب احتساب الأجر فيها.

وعليها أيضا كثرة اطلاعها بالإضافة إلى العلم الشرعي على بعض القراءات التربوية، والتي تساعدها على الدعوة بثبات ووضوح وحكمة وقوة في العرض والاستدلال، ولتبذل وتعرض مساعدتها لمن تقدر عليه، وتحاول الوقوف مع قريباتها في أزَمَاتِهن، وتقدم لهن يد العون والمساعدة، فإن ذلك مما يحببها لهن، وبالتالي يجعل لها أثرا واضحا في توجيههن.

وعليها الاهتمام بأولادها وتعليمهم وتربيتهم، فإنهم سيصبحون قدوة في يوم من الأيام، ولا يؤدي بها دعوة الأخريات إلى إهمال أهل بيتها وأولادها، فالداعية الناجحة هي التي توفق بين بيتها وزوجها وأولادها، وتعلم أن ممارسة الدعوة إلى الله لا

يتعارض مع ذلك كله، لكن فقط يحتاج إلى تنظيم وحسن تدبير واستغلال الفرص والأوقات في النافع المفيد.

وإذا كنت تعملين فعليك تبليغ الدعوة في مجال العمل، بحسب مجال عملك، فإذا كنتِ مُدرسة مثلاً فإنه لا يقتصر دورك على المنهج الدراسي المحدد، بل تربطين بين المادة العلمية والدور المطلوب من الفتاة المسلمة لخدمة ونصرة دينها، كما ينبغي لك التقرب للطالبات، وكسب قلوبهن، والتعرف على مشاكلهن الخاصة، والاتصال بأمهاتهن، والتعاون معهن على أسلوب التربية والتوجيه المناسب، وحل مشاكلهن.

وإذا كنتِ تعملين في المجال الطبي طبيبة أو ممرضة فلا بد أن تُطَمْئني المريضة بقرب الشفاء والفرج من الله، وأن هذا المرض ابتلاء من الله ليمتحن به إيمانها وصبرها، ويرفع به منزلتها في الجنة، كما ينبغي عليك الإلمام بالأحكام الفقهية المتعلقة بعملك، وكذلك الأحكام المتعلقة بطهارة وصلاة المريضة لمساعدة المريضات في أداء العبادات على وجه صحيح.

وهكذا في كل مجال من مجالات العمل المختلفة، تمارس المرأة المسلمة دورها الدعوي الذي له أهمية كبرى كما وضحنا.

فنعم المرأة أنت لو كنت داعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، تبتغين وجه الله والدار الآخرة.

المرأة التي جعلت معيار اختيارها لزوجها وشريك حياتها ما أراده الإسلام

نعم المرأة أنت لو كنت جعلت معيار اختيارك لزوجك وشريك حياتك ما أراده الإسلام لك أن يكون زوجا صالحا صاحب دين وخلق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)) (١).

دين وخلق أو دين وأمانة هذا هو المعيار والمقياس السليم الذي ترتضيه المرأة المسلمة العاقلة الحكيمة، وانظري إلى امرأة عاقلة حتى قبل إسلامها، سيدة عظيمة في قومها، أمنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، انظري إليها عندما وضعت معيار اختيار زوجها –سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم–فتقول له: (قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك)) (٢).

لم تختره لوظيفته ولا لماله ولا لمسكنه ولا لسعة رزقه، إنما وضعت معايير الأمانة وحسن الخلق وصدق الحديث، وهو ما جاء الإسلام ليقرره ويؤكده، ولذلك تقبل المرأة المسلمة زوجا فقيرا، أو زوجا لا عمل له، أو زوجا لا عائلة أو قبيلة كبيرة له، أو زوجا بسيطا، كل ذلك إن كان زوجا صالحا ذا دين وخلق وأدب. ولوجمع بين خيري الدنيا والآخرة لكان بلا شك أفضل.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن غريب

(٢) أسد الغابة ج٥ ص٤٣٥

وفي قصة سعيد بن المسيب رحمه الله وتزويجه لابنته من رجل فقير وتَرْكِه تزويجها من أحد الأمراء لعبرة لمن تعتبر.

والمرأة المسلمة تكون حريصة كل الحرص على حسن اختيار زوجها طبقا لهذه المعايير التي أرادها الإسلام، فإذا ما ابتليت بزوج غير ما أرادت صبرت واحتسبت، وحاولت جاهدة جادة إصلاح حاله وهدايته والعودة به إلى ربه.

ولن يكون صبرك على فساد حال الزوج من الناحية الدينية أشد صبرا من حواء بنت يزيد بن سنان رضي الله عنها عندما أسلمت وحسن إسلامها، وكان زوجها كافراً، وكان يؤذيها في دينها فظلت صابرة محتسبة ترجو له صلاح حاله.(١)

فالمرأة المسلمة العاقلة الحكيمة تحرص على حسن اختيارها لزوجها، بحيث يكون تقيا أمينا ذا خلق حسن.

قال رجل للحسن البصري: قد خطب ابنتي جماعة فممن أزوِّجها؟ قال: "ممن يتقي الله، فإن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها".

وقيل لبعض العلماء: فلان يخطب فلانة، فقال: أموسر من عقل ودين؟، قالوا: نعم، قال: فزوجوه إياها.

والرجل القوي الأمين نعم الرجل الذي تبحث عنه المرأة، فإن وجدته تمنت لو تزوجها، قال تعالى على لسان ابنة شعيب: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾(٢).

(١) انظري القصة بطولها في أسد الغابة ج٥ص٤٣١.

(٢) القصص: ٢٦.

فالزوجة تحتاج إلى زوج قويٍّ يحميها ويغار عليها، ويكون سببًا في عفَّتها وقضاء وطرها بالحلال الطيِّب، وأمين لأن الأمانة هي السبيل لحفظ الدين، وحفظ الحقوق، ومراعاة الأرحام وصلتها، وحماية العِرض من الحرام، والمحافظة عليها.

والرجل صاحب الخلق والدين يتمتَّع بالصدق والواقعية، وعدم المبالغة في القول أو الحديث عن النفس أو الأهل أو المال، فهو صادق وواضح وصريح، لا غموض ولا التواء.

وتأملي في قصة (أم سُليم) رضي الله عنها والتي تأدبت بأخلاق الإسلام، فدعت زوجها للإسلام بكل حب وود لكنه رفض، ثم بدأت تلقن ابنها (أنس) الشهادة وهو صغير، ولبى الصغير نداءها، وبعد وفاة زوجها في أحد رحلاته تقدم إليها أبو طلحة، فرفضت زواجه، وجعلت دخوله في الاسلام مهرًا أو شرطًا لقبولها الزواج منه، وأحبت أن تفوز بقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرًا لك من حمر النعم))[(١)]، فجعل الناس يقولون: "ما سمعنا بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سُليم"[(٢)].

فنعم المرأة أنت لو كنت جعلت معيار اختيارك لزوجك وشريك حياتك ما أراده الإسلام.

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه الوادعي في الصحيح المسند، وقال: صحيح

المرأة التي عرفت حق زوجها عليها

نعم المرأة أنت إن كنت عرفتِ حق زوجك عليك، وقدَّرتِ هذا الحق العظيم، وعلمت أن أداءك لهذا الحق إنما هو دين تدينين به لله عز وجل، وأن تقصيرك في أداء حق زوجك يُعَرِّضك لغضب الجبار، وأنك ستلقين عاقبة تضييع حقه الخزي والندامة يوم القيامة، وأنا إذ أذكر هذه المرأة الصالحة التي عرفت حق زوجها لأذكرها وأذكر أختها المقصرة في حق زوجها ببعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وهي كثيرة.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت))[(١)].

وانظري أختي الفاضلة كيف جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الزوج رابعاً بعد ثلاث طاعات لله، بل بعد ثلاث فرائض: الصلاة والصوم وحفظ الفرج، وأيضاً طاعة الزوج، وهذه الأربع مؤهلةٌ صاحبتها لدخول الجنة، بل لتخييرها من أي أبواب الجنة شاءت.

وعن قيس بن سعد قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان[(٢)] لهم فقلت: رسول الله أحق أن يُسْجَد له، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني

(١) أحمد / ١٥٧٣، وصححه الألباني

(٢) مرزبان: رئيس الفرس أو الفارس الشجاع المقدم على القوم، وهو دون الملك في الرتبة والجمع مرازبة. المعجم الوسيط: (ج١ / ٣٤١)

أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك . . . . . . قال رسول الله: ((لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق))[(١)] ، فمن عظم حق الزوج على زوجته اقترب من أمرها بالسجود له تعظيماً لحقه، وتقديراً لشأنه، وفي رواية أخرى، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يصح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقْبَلَتْه فلحسته ما أدت حقه))[(٢)] .

انظري أختي لقسم الرسول صلى الله عليه وسلم على أنك لو لحست القيح والصديد من زوجك ما أديتِ حقه، وهي صورة مستقذرة تعافها النفس البشرية، ولكن لو احتيج لذلك فيجب عليكِ فعله، وإن فعلتيه فلن تؤدي حق زوجكِ كاملاً.

فقدري أختي العزيزة حق زوجكِ عليكِ، وهو حق فرضه عليكِ ربك، وبلغك بذلك رسولك، واعلمي أن طاعته فيما لا يغضب الله ورضاه عنك تدخلكِ الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: ((أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة))[(٣)] ، وغضبه عليكِ يعرضك لسخط الله وغضبه، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً، رجل أَمَّ

(١) أبو داود / ١٨٢٨
(٢) أحمد / ١٢١٥٣
(٣) الترمذي / ١٠٨١

قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان[1]))[2] ، فاعلمي أختاه أن زوجكِ جنتك ونارك، كما قال صلى الله عليه وسلم لإحدى النساء: ((أذات زوج أنت؟)) قالت: نعم، قال: ((كيف أنتِ له))، قالت: ما آلوه[3] إلا ما عجزت عنه، قال: ((فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك))[4] .

فاحذري أختي الحبيبة من إغضاب زوجك، ولتجعلي إرضاءه هدفاً لك، وأولوية في حياتك تضحي من أجلها، وتبذلي الغالي والرخيص في سبيل تحقيق هذا الهدف الأسمى والأمنية العزيزة، واحذري من غضب الله عليك عندما تُغْضِبين زوجك، ألا تعلمي أن الحور العين يتأذين من إيذائك زوجك أو إغضابه، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا))[5] . انظري لدعائها عليك ((قاتلك الله)) فإن كن أكثر من واحدة فهل تنالين هذا الدعاء كله من إيذائك زوجك؟!

---

(١) متصارمان: أي متقاطعان. المعجم الوسيط: (ج١ / ص ٥١٣).
(٢) ابن ماجه ٩٦١
(٣) ما آلوه: أي ما أرده. المعجم الوسيط: ج١ / ص٣٣.
(٤) أحمد / ١٨٢٣٣
(٥) الترمذي / ١٠٩٤

وأخيرا فاعلمي أختي الفاضلة أن أعظم الناس حقاً عليك زوجك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي الناس أعظم حقا على المرأة؟" قال: ((زوجها)). قلت: "فأي الناس أعظم حقا على الرجل؟" قال: ((أمه))[(١)]. وعظمة هذا الحق من عظمة الآمر به وهو المولى عز وجل والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. فطاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل الجهاد في سبيل الله، وذلك كما ورد في الحديث الذي رواه ابن عباس والذي رد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم على وافدة النساء السائلة عن الجهاد وأجر الرجال، قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله))[(٢)].

إذا عرفت أختي الفاضلة هذا الحق لزوجك، وعرفت أن أداءه طاعة لربك وأن طاعته في المعروف عبادة لمولاك، وأن التقصير في أداء حقه أو التهاون به أو عدم الاعتراف به يؤدي بك إلى المهالك، ويعرضك لغضب الله عز وجل، إذا علمت ذلك وأيقنت به حقيقة لا تقبل الجدال وجب عليك أن تنطلقي لتحقيق هذا الأمر على أرض الواقع، لا كما تفعل بعض النساء اللاتي يعترفن بعظم حق الزوج عليهن، لكنهن لا يقمن بما يفرضه عليهن هذا الاعتراف بهذا الحق، ويمارسن ممارسات مع الأزواج لا توحي بمعرفتهن هذا الحق أو توحي بالتناقض بين الاعتراف النظري به والمخالفة العملية له، أو بين قولها وفعلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[(٣)].

(١) الحاكم والبزار
(٢) رواه البزار والطبري
(٣) سورة الصف: (الآية / ٢)

ويهمني هنا أن أقرر أمراً هاماً في العلاقة بين الزوجين، وهو أن العلاقة إن كانت قائمة على مطالبة كل طرف بحقه، وتَرَصُّد تقصير الطرف الآخر في أداء ما عليه من حقوقه، فستكون علاقة فاترة ضعيفة سرعان ما تهوي بها المواقف الصعاب والأمور الشداد في مهب الريح، وتنتهي هذه العلاقة في مواقف قد تكون تافهة، إنما ينبغي على كل طرف أن يُعَظِّم حق الطرف الآخر، وأن يؤدي ما يفرضه هذا الحق عليه من تبعات ومسؤوليات؛ ليقوم هو بكل ما افترضه عليه هذا الحق، وأن يقدم ويقدم ويعطي ويعطي غير منتظر الرد، وغير منتظر أن يأخذ مقابل ما أعطى، ويظل يعطي بلا حدود ويقدم المزيد والمزيد يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، ويعرض نفسه لرحمات الله وفضله، ومنِّه وكرمه.

وسأنطلق معك أختي الفاضلة من هذا المنطلق؛ لأدلك على أمور إن فعلتيها فإنما تحاولين جهدك أن ترضي زوجك لترضي ربك، وأن تنالي محبة زوجك لتنالي محبة ربك، وأن تقومي بواجبه وبما يدخل عليه السرور والحبور، ويسعده ويُصْلِح بَالَه، محاولة بذلك أداء حقه العظيم عليك، وأنا أعرف أن أداء هذا الحق أمر تكرهه نفوس كثير من النساء، وإن كن يعلمن أنه من فروض الدين وتكاليفه، كما أخبر الله عزوجل أن الجهاد رغم أجره ومثوبته وعلم الرجال بفضله إلا أنه كُره لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[1] .

(١) سورة البقرة (الآية / ٢١٦).

المرأة التي تحترم زوجها وتقدره قدره

نعم المرأة أنت إن كنت تحترمين زوجك، وتقدرينه قدره، وتعطينه مكانته وخاصة أمام الآخرين، ولا تتصرفين في أمر إلا بعد الرجوع له، ولا تعطين ولا تمنعين إلا بإذنه، ولا تتصرفين في أمر من أمور بيتك أو أبنائك أو حتى مُلْكك إلا بعد التشاور معه، وأخذ رأيه، والتفاهم فيما بينكما، حتى لا تَظْهري أنت وزوجك في أي أمر من الأمور مُخْتَلِفَيْن مُتَشَاجِرَيْن، أحدكما إلى أقصى اليمين والآخر إلى أقصى اليسار، تتناحران في موضوع من السهل أن يُحَلَّ لو أنك تشاورت مع زوجك، ووضعت في ذهنك اعتبار مكانته وقوامته، ولتنظري أيتها الصالحة إلى أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما عندما تروي عن نفسها في الحديث الذي رواه الإمام مسلم تقول "جاءني رجل فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك، قالت: إني إن رخصت لك أَبَى ذاك الزبير (زوجها رضي الله عنه) فتعال فاطلب إليّ والزبير شاهد، فجاء فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك، فقالت: مالك بالمدينة إلا داري؟ فقال لها الزبير: مالك أن تمنعي رجلاً فقيراً يبيع فكان يبيع إلى أن كسب"[(١)] .

انظري أختي المسلمة وهي تُسْتَأْذَن في مالها، بل فيما لا قيمة مادية له إنه ظل دارها لم تأذن للرجل الفقير، ولم تقل أنا حرة أتصرف في مالي كما أريد، لا حاجة لي باستئذان زوجي، وفيم أستأذنه في ظل الدار، وهل استأذنه في عمل خير أعمله؟ إنما

(١) مسلم / ٤٠٥١ .

احترمتْ زوجها، وقدَّرت له قدره، وجعلت له مكانته أمام الآخرين، ثم تصرفت بحكمة بالغة، فجعلت الرجل يأتي أمامه فترفض رغم موافقتها المسبقة حتى تكون الكلمة لزوجها، والإذن منه، فلا تريد أن تكون فوقه كما تفعل بعض النساء غير العاقلات، وكما تتصرف بعض الحمقاوات، فتريد أن يكون الرأي رأيها، والكلمة كلمتها، وإذا كان زوجها يريد اليسار فهي اليمين والعكس، ويتحكم العناد والصلف والكبر في تصرفاتها، بل تأذن لأبنائها في بعض الأمور فيقول الابن أو الابنة والدي قال لي: لا تفعل، أو أبي سيغضب، فتقول له: أنا أقول لك: افعل وليس لك دخل بأبيك.

قارني نفسك أختي الحبيبة بأسماء في تصرفها وقولها "فتعال فاطلب إلي والزبير شاهد"، أي حاضر فيكون الإذن له وليس لي، والكلمة كلمة زوجي، والقوامة قوامته، وأنا تحته وليس فوقه، فنعم المرأة أسماء ونعم التربية تربيتها، ونعم الحكمة حكمة تصرفها، ونعم المرأة التي تتأسى بأسماء في تصرفها هذا، فتكون خير النساء كما أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي النساء خير؟"، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره))[(١)]، لا تخالفه في مالها بما يكره، حتى وإن كان مالها ولها حرية التصرف الشرعي فيه إلا أنها تراعي مشاعره وعواطفه، وتأخذ رأيه، وتحترم مشورته، وتعطيه اعتباره.

---

(١) النسائي / ٣١٧٩ .

فنعم المرأة أنت إن كنت تحترمين زوجك، وتقدرينه قدره، وتعتبرين مكانته، ولا تتصرفين في أمر من الأمور ولو بسيطة إلا بعد الرجوع له، ولا تعطين ولا تمنعين إلا بإذنه أو التشاور معه، ولا تتصرفين في أمر من أمور بيتك أو أبنائك أو حتى مُلْكك إلا بعد التشاور معه، وأخذ رأيه، والتفاهم فيما بينكما.

المرأة التي تفهم زوجها

نعم المرأة أنت لو كنت تفهمين زوجك، وتفهمين إشارته وكلامه، وتعرفين منه دون أن يتكلم ماذا يريد، وماذا يحب وماذا يكره؟ ومتى يود هذا الشيء، ومتى لا يوده، وأين يضع الشيء، وأين لا يحب وضعه وهكذا، فتريحين زوجك، ولا تصطدمين بما يحب ويكره، فتُدخلين عليه السرور بصنيعك، وبِحُسن فهمك له ولإشارته أو حركته أو كلمته.

انظري أختي الحبيبة إلى هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش (عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرضها .....) فاستأذنت فأَذِن لها، فدخلت فقالت: يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت عائشة: وَوَقَعَتْ فيَّ زينب، فقالت عائشة: فطفقت أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم متى يأذن لي فيها، فلم أزل حتى عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر. قالت: فوقعتُ بزينب فلم أنشبها أن أفحمتها، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ((إنها ابنة أبي بكر))[(١)]، انظري إلى قولها: فطفقت أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم متى يأذن لي فيها، فلم تتسرع حتى لا تُغْضب زوجها، وجعلتْ تنظر إليه هل يحب أو يرى أن ترد عائشة على زينب وتنتصر لنفسها، وظلت عائشة على ذلك حتى شعرت من النظر إليه أنه لا مانع لديه من أن ترد على زينب، وأن تأخذ حقها

(١) رواه مسلم في فضائل عائشة .

من النيل منها، ففعلت، فلما كان تصرفها في الوقت المناسب وبِرِضا زوجها بمعرفة ذلك لا بالكلام ولا حتى بالإشارة كان وَقْعُ ذلك على النبي أن تبسم، فأدخلت عليه السرور بِحُسْن فهمها لزوجها، لا كما تفعل بعض النساء التي تعرف أن زوجها يكره أن ترد أمامه على أمه أو أخته أو غيرهما، وتُصِرُّ على أن ترد وأن تنال ممن أساء إليها، وإن أراد أن يُسْكِتَها أصرت أو اتهمته بالظلم أو النيل منها أمام أقاربه.

انظري لقول معاوية لصعصعة: أيّ النّساء أحبّ إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى. قال: فأيّهن أبغض إليك؟ قال: أبعدهنّ لما ترضى.

فنعم المرأة التي تفهم زوجها وتعرف ما يحبه وما يكرهه ولا تفعل ما يسيئه وإن كان محببا إليها.

المرأة الحريصة على راحة زوجها

نعم المرأة أنت إن كنت حريصة على راحة زوجك، تتلمسين ما يحبه من طعام أو شراب أو كلام أو تصرف، فتصنعينه لتدخلي عليه السرور، وتملئين حياته بالحبور، تعرفين ما يكره من طعام أو شراب أو كلام أو تصرفات فتجتهدين ما استطعت ألا تفعليه، فإن اضطررت فليس أمامه، فإن كنت تحبين طعاماً لا يحبه صنعته عند سفره، أو أكلته في بيت أبيك أو عند أختك، وإن قلت كلمة فكرهها أو تصرفت تصرفاً فلامك لم تعودي إليه أبداً، تعرفين وقت نومه، ووقت طعامه، ووقت شربه، ونظام دوائه إن كان مريضا، فلا تنتظري أن يطلب منك توفير ذلك، أو الإلحاح عليك ألا تتأخري عليه في أمر من أموره، وبئس المرأة التي لا تراعي إلا راحتها أو راحة أبنائها، ولو على حساب راحة زوجها، يأتي الزوج من عمله متعباً مرهقاً يود أن يجد الطعام جاهزاً والنوم ميسراً، فإذا بالزوجة لم تعد طعامه، فيدخل لينام فإذا بالأولاد يزعجونه، والأم لا تحرص على أن توفر له جواً هادئاً وصوتاً خافتاً.

يحكي لي أحد أصدقائي أنه وهو صغير كانت أمه بعد أن يتناولوا طعام الغداء فيدخل والدهم إلى الغرفة لينام نوم الظهيرة، وليس عندهم إلا غرفة واحدة، يقول فتجْمَعُنا أمي في الطرف البعيد عن باب الغرفة في الصالة، فنجلس حولها فتقول بصوت خافت سأقص عليكم قصة فاسمعوا ولا تتكلموا حتى لا يستيقظ أبوكم على صوتكم، وهو يشقى ويتعب من أجلكم، فتظل تحكي لنا ونحن صامتون، حتى يقوم أبي لصلاة العصر فننطلق بأصواتنا كما نشاء، يقول فلما كبرت علمت أن والدي

كان يعمل مؤذناً في المسجد وليس له عمل آخر، وهو لا يأتي متعباً أو مرهقاً كما كانت تشعرنا أمنا، وتطلب منا الكف التام عن الكلام حتى لا نزعج أبانا، يقول صديقي فلما تزوجت من امرأة جامعية وأنا أعمل مدرساً لا يكفيني راتبي فأعمل بالدروس الخصوصية، فأبدأ عملي الخاص قبل الدوام الرسمي، ثم بعد خروجي من مدرستي مباشرة، ثم أعود إلى بيتي لتناول الغداء، ثم أستريح ساعة لا غير، ثم أنطلق لأستكمل عملي يقول: فإذا بي لا أستطيع النوم من أصوات أولادي، فكلمت امرأتي مرات، فإذا بها تنادي على أولادي: اسكتوا اسكتوا بصوت عال، فأستيقظ على صوتها، وليس صوت أولادي يقول فقلت: شتان ما بين أمي الأمية وزوجتي الجامعية.

فانظري أختي المسلمة إلى هذا الموقف ووقعه على الزوج، وكيف أنه يشعر أنه لا يستطيع أن يستريح في بيته، وأن امرأته ليست حريصة على راحته، ولا تشعر بالمعاناة التي يعانيها في عمله، وهو يقارن بين تعبه وإرهاقه في عمله وراحة أبيه في عمله، ثم يقارن بين مشاعر أمه الأمية تجاه أبيه ومشاعر زوجته الجامعية تجاهه.

فلا تجعلي هذه المرأة قدوتك، واجعلي عائشة رضي الله عنها قدوتك، عندما تروي عن نفسها لما عاتبها أبو بكر رضي الله عنه في أمر الماء تقول: "جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، وجعل يعاتبها، وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي"[(١)] انظري أبوها يطعنها في

---

(١) البخاري / ٣٢٢ .

خاصرتها وهي تتحمل ولا تتحرك حتى لا توقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصاً منها على راحته.

فنعم المرأة أنت إن كنت حريصة على راحة زوجك، تسعين جادة لراحته وإدخال السرور عليه بحسن تصرفاتك وحكمتك، وحنانك وعطفك وحُنُوِّك عليه.

المرأة المتعاونة مع زوجها على طاعة ربها

نعم المرأة المسلمة أنت إن كنت متعاونة مع زوجك على طاعة ربك، تدلينه على الخير، وتسعين معه إليه، وتنصحينه بما يُصلح له دينَه ودنياه وأخراه، وإذا أراد فعل الخير كنتِ أولَ الملبين وأشد المستعدين وأحرص المتعاونين معه على ذلك، وإن أراد سوءاً أو أراد شراً كففته عن ذلك، ولم تلبي نداءه، وحاولت الأخذ بيده بعيداً عن الشر والسوء، ولم تكوني لتفتني زوجك عن طاعة ربه أو تكوني سبباً في ارتكابه محرماً أو وقوعه في إثم أو مكروه في الدين أو في الأخلاق أو العادات.

فالزوج والزوجة خليلان متلازمان، كل منهما يتأثَّر بالآخر ويؤثِّر فيه، ولهذا كان الواجب عليهما التعاون على البر، والتناهي عن الإثم، والأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [(١)].

وحثّ النبي صلى الله عليه وسلم على نكاح المرأة الصالحة، وتزويج الرجل الصالح الذي يُرضَى دينه وخلقه؛ من أجل تحقيق هذه الغاية الجليلة، وهي التعاون بين الزوجين وأولادهما وأهليهما على مرضاة الله تعالى والاستقامة على دينه.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته، فصليا ركعتين، كُتبا من الذاكرين اللهَ كثيرًا والذاكرات)) [(٢)].

---

(١) المائدة،٢

(٢) رواه أبو داود والنسائي.

ويجب أن يعينَ الزوجان بعضهما بعضا على طاعة الله، وهذا له أثر طيب على حياتهما الأسرية، وسببٌ في أن ينعما بالاستقرار النفسي والاجتماعي، فإذا كان أحدهما مقصراً في حق الله عليه، فعلى الآخر أن يأخذ بيده حتى يعيده إلى الطريق المستقيم.

فعليك أيتها المرأة الصالحة أن تقومي بالتذكير الدائم والمستمر، دون كلل أو ملل، فسيدنا نوح عليه السلام لبث تسعمئة وخمسين سنة يدعو قومه، وعليك أن تُذَكِّرِي زوجك لأداء العبادات والقيام بالطاعات التي تُرضي الله تعالى.

وأنصحك أختي المسلمة أن تُجَدْوِلِي أوقاتًا للعبادات المشتركة مع الزوج ومع العائلة، يمكن أن تتفقي مع زوجك على صيام النوافل، والاشتراك في قراءة القرآن، وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة سوياً، وتذكيره بموعد الصلاة وحثه على سرعة الخروج والتبكير إليها.

ولابد أن تكوني حكيمة وذكية في التعامل مع زوجك المقصر في العبادة؛ إذ قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾(١)، وعليك أن تعرفي متى تتحدثين معه، وماذا تقولين، وماذا يحب وماذا يكره لتحببيه في العبادة والطاعة.

---

(١) النحل:١٢٥

وتذكير الزوجة لزوجها بالطاعة، وإعانتها له على التقرب إلى الله، قد تستغرق وقتا أو حتى سنوات طويلة! لذا عليها أن تصبر، ولها جزاء هذا الصبر، فكم من رجال اهتدوا على أيدي زوجاتهم.

ومن النساء من كانت تخاف الله وتتقيه فتقول لزوجها عندما يخرج لعمله: "اتق الله، اتق الله، ولا تطعمنا إلا من حلال، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار"، فتعطي مثلا للزوجة التي تعين زوجها على الكسب الحلال.

وما أجمل أن يقرأ الزوجان معًا شيئًا ولو يسيرًا من القرآن بعد صلاة الفجر، ويجعلان ذلك وِرْدًا يوميًّا لهما، وجميل أن تُعْقَدَ جلسة علمية إيمانية أسبوعية بين الزوجين وأولادهما، ورائع أن يجتمع الزوجان على قيام الليل، وعلى صيام يوم والإفطار سويا وإطعام بعضهما البعض في أفواههما، فإن كثيرًا ممن قاموا بهذه الأمور وغيرها أقروا بأثرها الطيب على قلوبهم، بل إنها تذيب ما قد يعلق بقلب الزوجين من آثار الخلافات. تلك هي المشاركة الفعالة في الحياة الزوجية، التي تسعد الزوجين في الدنيا والآخرة.

وأخيراً أذكرك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: ((رحم الله رجلا قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته فصلَّتْ، فإن أبتْ رشَّ في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّتْ وأيقظتْ زوجها فصلَّى، فإن أَبَى رشَّتْ في وجهه الماء))[١].

(١) ابن ماجه

فنعمت الحياة الزوجية حين تعين الزوجة زوجها على طاعة الله عز وجل، وتذكره بالآخرة وبالجنة والنار وبالكسب الحلال وبالنية الحسنة عند كل عمل، وبالإخلاص لله ومراقبته في كل حال.

إن هذه المعاني الجليلة حينما تعيشها الأسرة المسلمة واقعا حيا في كل سلوكياتها أجدر بأن تجلب على البيت وعلى كل أفراد الأسرة السكينة والطمأنينة والحبور والبركة، بل إنها السبيل الأقوم للتوازن النفسي حين يشعر كل فرد في الأسرة أنه يعيش بمنهج ولغاية نبيلة ممتدة، الدنيا بالنسبة له جزء من رسالته، وليست أكبر همه ولا مبلغ علمه.

المرأة التي تمدح زوجها

نعم المرأة أنت إن كنت تذكرين زوجك بخير، وتمدحينه في وجوده وفي عدم وجوده، وبئس المرأة التي تذكر زوجها دائماً بسوء في وجوده أو عدم وجوده، ولا تذكر محاسنه ولا فضله ولا تعترف له أو لغيره بطيب عشرة ولا حسن تصرف ولا خير قط، وهذا مما يدخل النار كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((ومنكن حطب جهنم، وفرق بين أصابعه. فقالت الماردة أو الماردية: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: تَكْفرن العشير وتكثرن اللعنة وتُسَوِّفْن الخير))[١].

اسمعي أختي الفاضلة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تقول لزوجها محمد صلى الله عليه وسلم: ((والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق))[٢] فمدحت زوجها وذكرت محاسنه وأدخلت عليه السرور باعترافها بفضله.

وحتى عند الاختلاف وعند البغض وعند الافتراق (لا قدر الله) لا يمنع ذلك المرأة الصالحة من تذكر زوجها بخير، اسمعي لزوجة ثابت بن قيس رضي الله عنها وعنه عندما أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "يا رسول الله إني لا أعتب على ثابت في دين ولا خلق ولكني لا أطيقه". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) السيوطي والطبراني

(٢) البخاري

((فتردين عليه حديقته)). قالت: "نعم"[(١)]، فانظري إلى هذا الخلق الرفيع والأدب الجم، تريد أن تخلع نفسها من زوجها وأن تفارقه ومع ذلك لا تذكر منه عيباً في دينه ولا خلقه، لا كما تفعل الفاسقات من النساء اللاتي يذكرن مساوئ الزوج بحق وبغير حق، ويذكرن عورات لا ينبغي أن تذكر عند أبسط خلاف بين الزوجين.

وارجعي أختي المسلمة إلى حديث أم زرع وتأملي فيه، وتأملي كيف ذكرت بعض النساء مساوئ أزواجهن، ثم كللت أم زرع حديثهن بأن ذكرت محاسن أبي زرع ومدحته بما هو أهله وأثنت عليه خيرا، ثم توج رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)] الحديث.

(١) البخاري / ٤٨٦٨

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم وغيره ونصه (عن عروة عن عائشة أنها قالت جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا قالت الأولى زوجي لحم جملغث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل قالت الثانية زوجي لا أبث خبره إني أخاف أن لا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره قالت الثالثة زوجي العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق قالت الرابعة زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة قالت الخامسة زوجي إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد قالت السادسة زوجي إن أكل لف وإن شرب اشتف وإن اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث قالت السابعة زوجي غياياء أو عياياء طباقاء كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلا لك قالت الثامنة زوجي الريح ريح زرنب والمس مس أرنب قالت التاسعة زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النادي قالت العاشرة زوجي مالك وما مالك مالك خير من ذلك له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك قالت الحادية عشرة زوجي أبو زرع فما أبو زرع أناس من حلي أذني وملأ من شحم عضدي وبجحني فبجحت إلي نفسي وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح أم أبي زرع فما أم أبي زرع عكومها رداح وبيتها فساح ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع مضجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا

وانظري إلى أم سلمة رضي الله عنها عندما مات زوجها فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أن تصبر وتحتسب وأن تقول اللهم اخلفني في مصيبتي خيراً واخلفني خيراً منها)). فتقول كنت أقول: "ومَنْ خَيْرٌ من أبي سلمة"(١).

انظري إلى هذا القول السديد: "من خير من أبي سلمة"، فهي تذكر زوجها أنه خير الناس، ولا ترى أحداً قط خيراً منه، لا كما تفعل بعض نسائنا فلا تقول في زوجها بعد موته إلا سامحه الله..... إشارة إلى أنه كان يفعل معها ما يستحق عليه هذا الدعاء.

كثير من النساء تترحم على أمها أو أبيها وأحيانا على خالها، بل وصديقتها التي كانت سندها في الحياة، وتنسى دور زوجها، بل ربما لا تذكره بخير على قاعدة كفران العشير التي شهد بها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وقد تشكره ولكن لا تظن أنه بتلك المكانة التي بلغها أولئك.

وما ذلك إلا لأننا لا نعرف قيمة الناس إلا حين نفقدهم، وحين تفقد المرأة زوجها ستعلم أنه كان سماءها التي تستظل بها، وأرضها التي تأكل منها، وسكنها الذي تأوي إليه.

قالت خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلا سريا ركب شريا وأخذ خطيا وأراح علي نعما ثريا وأعطاني من كل رائحة زوجا قال كلي أم زرع وميري أهلك فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع قالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبي زرع لأم زرع)

(١) الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم.

والعاقل من يعرف قيمة ما معه قبل أن يفقده، ويشكر النعمة فبل أن تُنْزع منه.

فاحرصي أختي المسلمة على مدح زوجك بما فيه من صفات الخير، ومن مواقف جميلة وقفها معك أو مع أحدٍ من أهلك، ولا تنسي له فضله، ولا تتذكري فقط مساوئه وتصرفاته التي تصرفها في ساعة غضب، ولا تحفظي الكلمات التي أساء فيها وتنسي الكلمات التي أحسن فيها في أوقاته العادية التي تصرف فيها بطبيعته ولم يتصرف تحت أي ضغوط.

امدحي زوجك أمامه وأمام الآخرين، ولا تذميه أو تذكريه دائما بسوء.

المرأة الشاكرة لزوجها حسن صنيعه معها

نعم المرأة أنت إن كنت شاكرة لزوجك حسن صنيعه معك، معترفة له بفضله عليك، ذاكرة لحسناته، غاضة الطرف عن زلاته، تشكرينه إذا أطعمك أو كساك أو أحسن معاملتك أو أشفق عليك أو أهداك أو حث أبناءك على برك والإحسان إليك أو ذَكَّرَ أولاده بفضلك عليهم، أو أكرم والديك أو أقرباءك.

نعم المرأة التي لا يمر عليها ما يستحق الشكر لزوجها إلا شكرته، ولا فضل له إلا أظهرته، ولا حسن صنيع معها إلا قدرته، علمت أن شكرها لزوجها عبادة تتقرب بها إلى خالقها، بل وشُكْرٌ لله على نعمائه، قال صلى الله عليه وسلم: ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))[(١)].

وبعض النساء ترى ما يفعله زوجها معها من إطعام أو كساء أو حسن خلقه معها ورفقه بها وعطفه عليها وشفقته بها وإحسانه بأهلها إنما هو حق لها لا يستدعي شكراً عليه، وإن شكرته إنما تفتح عيونه على أمر ينبغي ألا يُقَصِّر فيه، فتظن أن شكرها إياه يُذْهِب حقها، أو يُضَيِّع شخصيتها، أو يقلل من شأنها، أو يذل عزتها، أو يذهب هيبتها وكرامتها، وهي واهمة في ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: ((الطاعم الشاكر كالصائم الصابر))[(٢)]، فكوني بشكرك زوجك على صنيعه – حتى الطعام الذي يطعمك إياه وهو حقك عليه – كوني كالصائمة الصابرة، ولا تكفري العشير،

(١) الترمذي / ١٨٧٧ .
(٢) أحمد / ٧٤٧٣ .

فتكوني مع أول تقصير له في حقك، أو خطأ في جانبك ذاكرةً له بسوء، معددةً لسيئاته، حاكية لمواقف تقصير مشابهة منذ أن تزوجتما، قد نسيها ومحاها الزمن لكنك ما زلت تحفرينها في ذاكرتك، تجمعين شتاتها، وتنظمين عقد الحقد والبغضاء والغل والكره بيديك، فلا ترين له حقا عليك، ولا أحقية للشكر على صنيعه، فاحذري أن تكفري عشير زوجك فتستحقي عذاب ربك وتكوني حطب جهنم.

فبئس المرأة التي لا تشكر زوجها ولا تعترف له بحقه ولا تذكر حسن خلقه، ولا فضله عليها، ولا ترى إلا فضلها عليه، ولا تعدد إلا مواقفها الحسنة معه، أما هو فلا تذكر منه إلا سوءا أو تقصيرا أو ساعة غضب أو كلمة زَلَّ بها أو خطأ ارتكبه.

ونعم المرأة أنت لو كنت شاكرة لزوجك، فَشُكْرُك له شكرٌ لله على نعمة الزوج الذي أعانك على إحصان نفسك، ورزقت بسببه الولد، وصرت أمّاً، وحرمت الكثيرات من ذلك، ويتمنين لو تزوجن مثلك، ولو تزوجن لتمنين أولادا مثل أولادك.

المرأة المتحملة لشدة العيش مع زوجها

نعم المرأة أنت إن كنت متحملة لشدة العيش مع زوجك وصابرة عند الضراء التي أصابته في عيشكما، عرفت أن للصبر منزلة عالية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [(١)]، فصبرت على شدة العيش إن أُصبت بها، وعلمت أنك لست بخير من فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم التي شكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى في يدها من الرحى [(٢)]، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وقمّت [(٣)] البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضر [(٤)]، وعندما طلبت من أبيها خادماً لم يعطها.

ولست خيراً من أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها التي قالت: تزوجني الزبير وما لَهُ في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح [(٥)] وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء، وأخرز غربه [(٦)] - قال أبو أسامة: يعني الدلو –

---

(١) الزمر ١٠

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ونصه (عن علي أن فاطمة عليهما السلام شكت ما تلقى في يدها من الرحى فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته قال فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقوم فقال مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهذا خير لكما من خادم وعن شعبة عن خالد عن ابن سيرين قال التسبيح أربع وثلاثون)

(٣) قَمَّتِ البيتَ ونحوَه: كنَسَته أي: نظَّفته من الكُناسة (المعجم الوسيط)

(٤) رواه أبو داود.

(٥) النَّاضِحُ: الدَّابَّة يُسْتَقَى عليها ،وهي ناضِحَةٌ . والجمع: نَواضِحُ. (المعجم الوسيط)

(٦) خرز (المخراز) ما يخرز به الجلد و نحوه ، والخَرْزُ خياطةُ الأدم ، الغرب بسكون الراء الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور (المعجم الوسيط)

وأعجن ولم أكن أحسن أخبز ... وكنت أنقل النوى من أرض الزبير ... على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ ... [(١)]، انظري أختي الفاضلة إلى المشقة كل المشقة، في جو حار شديد الحرارة، تعلف وتسقي وتعجن وتخبز وتنقل النوى على رأسها، وليس عند زوجها مال ولا خادم، ولا يملك من حطام الدنيا شيئا، وهي صابرة محتسبة راضية بما قسم الله لها، تذكر زوجها بخير وتحبه وتحترمه وتقدر له قدره، وتعرف له منزلته وإن كان فقيراً فقراً مدقعاً، فنعم المرأة هذه، وبئس المرأة التي لا ترضى بما قسم الله لها، وهي شكَّاءة بكَّاءة تُعَيِّر زوجها بفقره، وتستثيره بما عند غيره، وتقارن بين حياتها وحياة غيرها ممن هو فوقها، فتستقل ما عندها، وتستكثر ما عند غيرها فتشقى وتُشْقِي حياة زوجها، وتشقي حياتهما، وتغضب ربها، وتعرض عن شكره، فتعيش حياة ضنكاً.

فنعم المرأة أنت إن كنت صابرة عند الضراء، تتحملين شدة العيش مع زوجك إن حدثت، وتصبرين وتُصَبِّرِين زوجك إلى أن تمر الشدة، ويزول البأس والضراء.

---

(١) البخاري / ٤٨٢٣. والفَرْسَخُ: مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال، والجمع فراسخ.

المرأة التي لا تبخل بشيء لها على زوجها

نعم المرأة أنت إن كنت لا تبخلين بشيء لك على زوجك، فلا تضنين بفضل لك عليه، ولا تمنعين مالك عنه، وسيذكر لك ذلك زوجك إن كان منصفاً عادلاً، ولن ينسى لك صنيعك إذا وقفت معه في شدته، ومددت إليه يد العون وواسيته بما تملكين، أو بِعْتِ له ذهبك، أو اقترضت له من أخيك أو أبيك ما يسد حاجته أو يقضي دينه، ولم تتخلي عنه أو تضني بمالك أو حسبك عليه، فإن بخلت بذلك عليه فإنما توغرين صدره، وتؤرقين نفسه، وتوترين العلاقة بينك وبين زوجك، ولن ينفعك مالك، ولن يغني عنك شيئاً إن ساءت علاقتك بزوجك أو نغصت حياتك.

فاحرصي أختي المسلمة على أن تعيني زوجك على نوائب الدهر، وفي مواقف الشدة، وعند الحاجة، بما تملكين من مال أو حسب أو حسن تصرف أو معونة أقاربك، واحرصي على أن تقتدي بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في وقوفها مع زوجها محمد صلى الله عليه وسلم حتى ذكرها صلى الله عليه وسلم كما تقول عائشة رضي الله عنها: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة رضي الله عنها أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها"، قال: ((ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس))[١].

(١) أحمد / ٢٣٧١٩

فانظري أختي الحبيبة إلى قوله عن خديجة رضي الله عنها: ((وواستني بمالها إذ حرمني الناس)).

فلتكن خديجة رضي الله عنها قدوتك، فتواسي زوجك بمالك، ولا تبخلي عليه بشيء مما مّنَّ الله به عليك، وخاصة إذا كنت تعملين وتتقاضين راتباً شهرياً، فكوني كريمة مع زوجك، ولا تقولي هو ملزم بالإنفاق عليَّ وعلى أولادي وبيتي، ولن أعطيه شيئاً، ولن أشارك معه في شيء، نعم هو ملزم بالإنفاق كما تقولين، لكن لا تمنعيه فضل مالك تكرماً منك وفضلاً، وحرصاً على حسن العلاقة الزوجية التي لا نريد أن يلوثها تعلق كل طرف بحقوقه وخاصة المالية، ولا تضني عليه خاصة في حالة الحاجة والشدة، وهو يعلم أنك معك، ولا تريدين إعطاءه فيضطر إلى الاقتراض من غيرك أو مد يده للآخرين وأنت أولى أن تمدي يدك أنت إليه دون أن يطلب منك أو تشترطي عليه.

فبئس المرأة التي تفعل ذلك فلا تعطيه حتى يكتب لها كذا وكذا أكثر من حقها، أو يفعل كذا وكذا فيما لا يحل له أو لها، فيكون كبيع المضطر وعقد الإذعان.

فنعم المرأة أنت إن كنت لا تبخلين بشيء لك على زوجك.

المرأة المدللة لزوجها

نعم المرأة أنت إن كنت مدللة لزوجك، وذلك بعد أن تحرصي على راحته، وتدخلي عليه السرور بمسارعتك لخدمته، وتحبي أن تفعلي كل ما يحبه ويهواه في غير معصية الله، وتكرهي كل ما يكرهه و يأباه، تسعين بعد ذلك لتدليله تدليلاً يحببك إلى قلبه، وتتقربين به إلى ربك، وذلك كأن تقفي بجواره وهو يلبس فتناوليه ثوبه وهو قادر على أخذه، وتجهزين له غطاء رأسه أو رابطة عنقه، ثم تنظرين إليه يُمْنة ويُسْرة تتفقدين شكله، وتهذبين له شعره، وتضعين له عطره الذي يحبه، وتنعتينه بأحب الصفات وأجملها، وتودعينه بأَحَرِّ العبارات والتحيات والقبلات، ثم إذا ما عاد إلى بيته أعددت له ما يحبه، ثم إذا تجالستما أجْلَسْتِهِ بجوارك، أو وضعت رأسه على فخذك، أو أخذت رجليه لتدلكيهما، تدللينه رغبة في كسب وده، أو ليتعلق بك قلبه، ولتُرضي بذلك خالقك، وليس في ذلك عيب، ولا انتقاص من حقك، ولا هدر لكرامتك، كما تظن بعض النساء اللواتي لم يقرأن سيرة أمهات المؤمنين، ولم يعرفن خُلُقَ نساء النبي صلى الله عليه وسلم وحسن تصرفهن مع زوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

انظري أختي المسلمة إلى قول عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: "فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام"[١]، منظر رائع يدل على ما بين الزوجين من ألفة ومحبة ووداد وتآلف وتقارب، ثم بعد ذلك إن أراد بعض الأزواج فعل ذلك تقول إحداهن لزوجها: قم يا رجل واترك

(١) البخاري / ٣٢٢

هذا العمل عيب (بلاش دلع)، ماذا يقول الأولاد لو رأوك نائماً على رجلي؟! وكأنه يرتكب إثماً، أو يفعل عيباً كما تظن.

وانظري أختي الحبيبة إلى منظر آخر، إنه منظر رائع، تقول عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري"[(١) (٢)].

انظري أين كانت هذه الزوجة تضع رأس زوجها المريض آنذاك صلى الله عليه وسلم.

فلتكن لك أختي المسلمة قدوة في عائشة وأسوة في أمهات المؤمنين اللاتي يحرصن على تدليل زوجهن، وهكذا تحرص كل امرأة مسلمة تفهم دينها وتحرص على رضا ربها. فنعم المرأة أنت إن كنت مدللة لزوجك.

(١) البخاري / ١٣٠٠

(٢) وفي رواية للبخاري (٤٠٨٤) (مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والسَّحْر: هُوَ الصَّدْر، وَهُوَ فِي الْأَصْل الرِّئَة. وَالنَّحْر: الْمُرَاد بِهِ مَوْضِع النَّحْر –أسفل الرقبة –وأما قولها: (مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي): فَالْحَاقِنَة: مَا سَفَلَ مِنْ الذَّقَن، وَالذَّاقِنَة مَا عَلَا مِنْهُ. وَالْحَاصِل: أَنَّ مَا بَيْن الْحَاقِنَة وَالذَّاقِنَة هُوَ مَا بَيْن السَّحْر وَالنَّحْر، وَالْمُرَاد أَنَّهُ مَاتَ وَرَأْسه بَيْن حَنَكهَا وَصَدْرهَا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهَا... أي أنه مات وهو مُسْتَنِد إلى صدرِها وما يُحَاذِي سَحْرَها منه.

المرأة الملبية لدعوة زوجها لفراشه

نعم المرأة أنت إن كنت إذا دعاك زوجك لفراشه لَبَّيْت دعوته بكل حب وتقدير، بل وتشعرينه أنك راغبة فيه كما رغب فيك، وأنك تودين معاشرته كما أظهر لك رغبته في معاشرتك، علمت أيتها المرأة الصالحة قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: ((إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور))[١] فَدِنْتِ لرسولك صلى الله عليه وسلم بالطاعة، فلبيت حاجة زوجك وإن كنت غير مستعدة لذلك، وإن كنت تؤدين أعمال بيتك، أو منشغلة بتربية أبنائك، أو معدة للطعام إلا أنه قد بدا ما هو أعظم من ذلك وهو حاجة زوجك إليك.

وبئس المرأة التي تمتنع من تلبية نداء زوجها لفراشه، وتذيقه الذل والهوان حتى ينال منها حقه، وبئس المرأة المتمارضة دائما، المتعذرة بأعذار شتى حتى لا تلبي نداء زوجها، القائلة لزوجها أليس لك هم إلا هذا الأمر؟!، أليس يشغلك إلا هو؟!، ألم أستجب لك بالأمس أو الأمس القريب؟!

بل نعم المرأة التي لا تنتظر من زوجها دعاءه، ولا تنتظر تلبية ندائه، بل تسعى لغض بصره وتحصين فرجه، وتزين نفسها له، وتعرض نفسها عليه، وتغريه بنفسها، وتكشف له ما يثير شهوته نحوها، ألا تفعل ذلك الغانيات والزانيات؟! أليست المرأة المسلمة الصالحة أولى أن تفعل ذلك مع زوجها في الحلال، وأن تملأ نفسه شعوراً

(١) الترمذي / ١٠٨٠

بالرجولة وبرغبة زوجته فيه، فتدخل عليه السرور، وتشعره بسعادة بالغة ابتغاء لمرضاة ربها وحرصا منها على إرضاء زوجها إرضاء لربها.

ولتكوني أختي الفاضلة معينة لزوجك على طاعة ربه، وأن يضع شهوته في الحلال، واحذري أن تجيبيه في وقت يحرم فيه إتيانك من حيض أو نفاس أو صيام، ولتكوني مثل خولة بنت ثعلبة عندما ظاهرها زوجها فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم أرادها لنفسه فقالت: كلا والذي نفس خولة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت فواثبني وامتنعت منه فغلبته[(١)]. ولا تكوني كامرأة مَسْلَمة بن صخر الأنصاري إذ كانا في نهار رمضان، فإذا هي تخدمه يقول: إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها[(٢)]، فأتاها في نهار رمضان بسبب تكشفها عليه، فلتعيني زوجك أختي الحبيبة على طاعة ربه والالتزام بأمره واجتناب ما حرمه لتكوني نعم الزوجة الصالحة والمرأة الطائعة.

ولا تكوني ممن يهجرون فراش الزوج فتنالي اللعنة. قال صلى الله عليه وسلم: ((إذا باتت المرأة هاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع))[(٣)].

---

(١) أحمد / ٢٦٠٥٦ .
(٢) الترمذي / ٣٢٢١ .
(٣) الدارمي / ٢١٣١ .

المرأة التي لا تغش زوجها

نعم المرأة أنت لو كنت لا تغشين زوجك.

وكيف تغش المرأة زوجها؟ اسمعي إلى سلمى بنت قيس رضي الله عنها قالت: "بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فيمن بايعه من النساء، على ألا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولانأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، ولا نغشن أزواجنا، فبايعنا، فلما انصرفنا قلت لامرأة ممن معي: ويحك ارجعي فسليه ما غش أزواجنا؟ فسألته، فقال: ((تأخذ ماله فتحابي به غيره))[(١)] . (فتحابي به غيره) أي تعطي منه غيرَه بغير إذنه؛ المحاباة هنا بمعنى الحباء؛ يقال: أحبوه وأحابيه حبواً ومحاباة وحباء، ويكون بناء المفاعلة إما على المطاولة والتمادي وإما على المقابلة كالمعاطاة كما تقول: أعطيه وأعاطيه.

فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها، فلها أن تأكل من ماله بالمعروفِ، ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علمه، عملا بحديث هند بنت عتبة رضي الله عنها أنها قالت: "يَا رسول اللَّه، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل عليّ جناح إن أخذتُ من ماله بغير علمه؟"، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((خُذِي من ماله بالمِعروف ما يكفيك ويكفي بَنِيكِ))[(٢)] .

وأما أن تحابي المرأة بمال زوجها غيره من الناس بغير علمه أو بغير موافقته فهذا غش للزوج، لا يرضاه الإسلام، ونهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم النساء.

فنعم المرأة أنت لو كنت لا تغشين زوجك.

(١) أسد الغابة ج٥ص٤٨٠أخرجه الثلاثة.

(٢) متفق عليه.

المرأة الحريصة على أن يذكرها زوجها بخير

نعم المرأة أنت إن كنت حريصة على أن يَذْكُرَك زوجك بخير، وأن يثني عليك ثناء حسناً، سواء في حياتك أو بعد موتك، تحرصين على ذلك بحسن عملك، وبدماثة أخلاقك، وطيب صنعك، وجميل مواقفك معه، وبسعيك معه لإدخال السعادة على بيتكما، وعلى حسن تربية أولادكما، وعلى إضفاء المودة والرحمة على حياتكما.

انظري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كما تقول عائشة كان يكثر ذكر خديجة رضي الله عنها، حتى تغار عائشة من امرأة لم يجمع بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة يُقَطِّعُها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة[(١)] وفاء لها بحقها، وبما فعلت معه في حياتها، فيذكرها بعد مماتها ذكراً حسناً، ويحسن عليها الثناء، كما قالت عائشة[(٢)] مما فعلته معه من إيمان إذ كفر به الناس، وتصديق إذ كذبه الناس، ومواساة إذ حرمه الناس، ورزقه الله عز وجل منها بالأولاد.

وانظري أختي المسلمة إلى ثناء علي رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها وذكرها بما كانت تصنعه فيقول: وكانت زوجتي فجرت بالرحى حتى أثرت الرحى

---

(١) البخاري ومسلم

(٢) في حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده

بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمَّت[(١)] البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها وأصابها من ذلك ضر[(٢)] .

وقد تقول قائلة: تصنع كثير من النساء ذلك وأكثر فلا يذكرهن أزواجهن بخير ولا يثنون عليهن، وأقول لها: إن ثناء الله على العبد خير له، وإن كنت تصنعين المعروف وتحسنين إلى زوجك وتعاملينه معاملة حسنة وتحرصين على إسعاده وعدم تنغيص حياته فأجرك عند الله – سواء أثنى عليك أم لم يثن –، ولكن الرجال الأوفياء كثيرون، ورأيتُ كثيراً من الرجال يدعون لزوجاتهم، ويذكرونهن بخير، ويذكرون أنهن صاحبات الفضل عليهم، وأنهن وقفن معهم في محنهم وشدائدهم، ومددن لهم يد المساعدة، وصبرن على فقرهم أو على سوء أخلاقهم أو اجتهدن في تربية عيالهم، أو كن سبباً بحكمتهن وحسن تدبيرهن في تحسن حالهم، أو كن دافعات لهم إلى نيل أعلى الدرجات العلمية أو المناصب الإدارية، فلتكوني من هؤلاء اللاتي يستأهلن الثناء والذكر الحسن من الأزواج أو من غيرهم من الناس بحسن خلقك وجميل صنعك وعظيم شيمك.

(١) كنست

(٢) حلية الأولياء ج٢ ص٤١، ورواه أحمد في المسند ج١ ص١٥٣، والحضرمي في وسيلة المآل ص٧٤.

المرأة الحريصة على أن تسمع من زوجها كلاما يرضيها

نعم المرأة أنت لو كنت تحرصين على أن تسمعي من زوجك كلاما يرضيك ولا يغضبك، فكثير من النساء يدفعن أزواجهن إلى أن يقولوا لهن كلاما لا يرضيهن.

فبئس المرأة التي تضطر زوجها اضطرارا لأن يُسْمِعها ما لا يرضيها، وهي التي تصر على أن تَسْمَعه، وانظري إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي دفعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد المواقف أن يقول لها ما تمنت ألا تسمعه، وذلك عندما أدركتها الغيرة من خديجة رضي الله عنها، فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "هل كانت إلا عجوزا قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب"، ثم قال: ((لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنتْ بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد النساء))، قالت: "فقلت بيني وبين نفسي: لا أذكرها بسوء أبداً"[(١)].

فنعم المرأة أنت لو كنت تحرصين على أن تسمعي من زوجك كلاما يرضيك ولا يغضبك.

(١) رواه أحمد في مسنده

المرأة التي تحرص على تربية أبنائها

نعم المرأة أنت لو كنت تحرصين على تربية أبنائك، وتهتمين بذلك اهتماماً بالغاً، علما منك بأنك مسؤولة عن ذلك، متكافلة متكاملة مع زوجك في أداء هذه العبادة العظيمة، قال صلى الله عليه وسلم: ((كلكم راع، وكل راع مسؤول عن رعيته، فالرجل في بيته راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيتها راعية ومسؤولة عن رعيتها))[(١)] .

نعم المرأة أنت لو كنت تستشعرين نعمة ربك عليك أن رزقك الأولاد وحرم غيرك، وإن كان ما أعطاك إلا بنات أو بنين فكلهم خير، قال صلى الله عليه وسلم: ((من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار))[(٢)] .

فنعم المرأة التي تحرص كل الحرص على تربية أبنائها على طاعة الله وحسن الصلة به، وعلى الطاعات والعبادات وعمل الحسنات والبعد عن الخطيئات، وتعلم أبناءها الصلاة، وتدربهم على الصوم منذ الصغر، كما تروي الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: "كنا نصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن[(٣)] ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري وغيره

(٢)البخاري ١٣٢٩

(٣) العهن هو: الصوف

(٤) البخاري ١٨٢٤

وتؤمن المرأة المسلمة بدور الأم الفعال في توجيه الأبناء نحو ربهم، والمحافظة على فطرتهم السليمة، وتؤمن بقدرتها على التغيير والإصلاح لهذه النفوس التي ولاها الله عليها، قال صلى الله عليه وسلم: ((كل إنسان تلده أمه على الفطرة، وأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم))(١).

فتحرص الأم المسلمة أن يكون أول ما يسمع ابنها عندما ينزل إلى هذه الدنيا شهادة التوحيد، وآخر ما يقوله شهادة التوحيد، وأن تجعل ما بينهما من حياته كلها طاعة وعبادة وإخلاصا لله سبحانه وتعالى.

نعم المرأة التي تعمل على توفير بيئة سليمة تدعم نمو أبنائها وتُطوّر مهاراتهم؛ وذلك من خلال توفير مساحات خاصة للحركة واللعب، ومنحهم فرصة إطلاق طاقاتهم وإبداعاتهم. وتدرك مشاعر أبنائها وما يدور في خلدهم من خلال تصرّفاتهم وتعبيراتهم اللفظية. وتدعم ثقة الأبناء بأنفسهم من خلال تواجدها حولهم دائماً ومساعدتهم على تطوير مهاراتهم. وتخلق نوعًا من الترابط الأسري؛ وذلك من خلال حرصها على قضاء أطول وقتٍ ممكنٍ مع أبنائها، وجمعهم حول مائدة الطعام في كلّ وجبة خلال اليوم، ممّا يُقوّي المعاني الأسرية لديهم، ويزيد من محبّتهم لأسرتهم والارتباط بها.

ويجب على الأم استشعار مدى أهمية دورها في تربية أبنائها، فهي المسؤولة عن تشكيل شخصيّات أبنائها بكافة جوانبها الجسمية، والنفسية، والعقلية، والروحية، حيث إنّ تربيتها لهم لا تقتصر على الأمر والنهي، إنّما تُحدّد جزءاً كبيراً من مستقبلهم.

---

(١) مسلم ٤٨٠٧

وتأملي أختي في هذه النماذج الخالدة من النساء المسلمات:

- **والدة الإمام سفيان الثوري:**

سفيان الثوري هو فقيه العرب ومحدثهم وأمير المؤمنين في الحديث، كان وراءه أمٌ صالحة تكفلت بتربيته والإنفاق عليه، يقول سفيان: لما أردت طلب العلم قلتُ: يا رب، لابد لي من معيشة، ورأيتُ العلم يذهبُ ويندثر، فقلت: أفرغ نفسي في طلبه، وسألتُ الله الكفاية (أن يكفيه أمر الرزق)، فكان من كفاية الله له أن قيَّض له أمه، التي قالت له: "يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي".

وكانت تتعهده بالنصح والوعظ لتحضه على تحصيل العلم، فكان مما قالته له: "أي بني، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك"، هكذا كانت أمه، فكان سفيان.

- **أم الإمام مالك بن أنس:**

يروى عن ابن أبي أويس قال: سمعت خالي مالك بن أنس يقول: كانت أمي تلبسني الثياب، وتعممني وأنا صبي، وتوجهني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وتقول: "يا بني! ائت مجلس ربيعة؛ فتعلم مِن سمته وأدبه، قبل أن تتعلم مِن حديثه وفقهه".

- **أم الإمام الشافعي:**

مات والد الإمام الشافعي، فكان وفاء الأم أن تجعل الابن محمد بن إدريس الشافعي إمامًا، فأخذته من غزة إلى مكة، وهناك تعلم القرآن الكريم وهو ابن ٧

سنوات، ثم أرسلته إلى البادية ليتعلم اللغة العربية، ثم علمته الفروسية والرماية، وأجازه الإمام مالك للفتوى وهو في الخامسة عشر من عمره.

وذات مرة أوقفت أم الإمام الشافعي ابنها بين يديها، وقالت له: "أي بني عاهدني على الصدق"، فعاهدها الشافعي أن يكون الصدق له في الحياة مسلكاً ومنهاجاً.

يروي الشافعيّ فيقول: "كنت يتيماً في حجر أمّي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلّم، وقد رضي منّي أن أقوم على الصبيان إذا غاب وأخفّف عنه، وحفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطّأ وأنا ابن عشر، ولما ختمت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا في شعب الحيف، ما كنت أجد ما أشتري به القراطيس، فكنت آخذ العظم وأكتب فيه، يقول الشافعي: فعدت إلى أمي أقول لها: "يا أماه تعلمت الذل للعلم والأدب للمعلم".

- **والدة الإمام البخاري:**

نشأ البخاري يتيماً في كنف أمه، لتقوم بتربيته أفضل تربية، فتتعهده بالرعاية والدعاء وتدفعه للعلم والصلاح، وترحل به في سن السادسة عشرة إلى مكة للحج، ثم تتركه هناك وترجع ليطلب العلم بلسان قومه، ليرجع البخاري أمير أهل الحديث.

- **أم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية:**

اقرئي أختي الفاضلة رسالة والدة شيخ الإسلام ابن تيمية إليه، بعد أن أرسل لها يعتذر عن إقامته بمصر، لأنه يرى ذلك أمراً ضروريا لتعليم الناس الدين.

تقول: "والله لمثل هذا ربيتك، ولخدمة الإسلام والمسلمين نذرتك، وعلى شرائع الدين علمتك، ولا تظننَّ يا ولدي أن قربك مني أحب إليَّ من قربك من دينك وخدمتك للإسلام والمسلمين في شتّى الأمصار، بل يا ولدي إنَّ غاية رضائي عليك لا يكون إلا بقدر ما تقدمه لدينك وللمسلمين، وإني يا ولدي لن أسألك غداً أمام الله عن بعدك عني، لأني أعلم أين، وفيم أنت، ولكن يا أحمد سأسألك أمام الله وأحاسبك إن قصّرت في خدمة دين الله، وخدمة أتباعه من إخوانك المسلمين". أي امرأة هي؟!

- **أم السلطان محمد الفاتح:**

كانت أم السلطان محمد الفاتح تأخذه وهو صغير وقت صلاة الفجر؛ لتريه أسوار القسطنطينية وتقول له: "أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار، اسمك محمد كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم"، والطفل الصغير يقول: "كيف يا أمي أفتح هذه المدينة الكبيرة ؟!" فتقول بحكمة: "بالقرآن والسلطان والسلاح وحب الناس". انظري إلى حسن التربية ودقتها، والهدف الواضح الذي ربت عليه ابنها، فماذا كانت نتيجة تربيتها؟

- **أم بديع الزمان النورسي:**

انظري إلى هذه الكلمات للشيخ بديع الزمان النورسي، الذي يوصف بأنه مجدد الإسلام في بلاد الأناضول في العصر الحديث، يقول بعد أن يذكر عن والدته أنها لم تكن ترضع أولادها إلا على وضوء، يقول: "أقسم بالله إن أرسَخَ درس أخذتُه

وكأنه يتجدد عليَّ، إنما هو تلقينات أمي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرتْ في أعماق فطرتي، وأصبحتْ كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين، رغم أني قد أخذت دروسًا من ثمانين ألف شخص؛ بل أرى يقينًا أن سائر الدروس إنما تبنى على تلك البذور".

تأملي أختي المسلمة في هذه النماذج وغيرها من المربيات الصالحات اللاتي صنعن رجالا خلدهم التاريخ، وأفادوا البشرية بعلمهم وصلاحهم وحسن تربية أمهات مؤمنات صالحات.

فنعم المرأة أنت لو كنت تحرصين على تربية أبنائك، وتهتمين بذلك اهتماماً بالغاً.

الفهرس